

الدكتور عبد الله الشارف

مناظرة صوفية معاصرة



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

الدكتور عبد الله الشارف

جامعة القرويين /كلية أصول الدين

مناظرة صوفية معاصرة

جميع الحقوق محفوظة للزمن



سلسلة شرفات

العدد40

2014م

المدير: عبد الكبير العلوي الإسماعيلي
الإخراج الفني والغلاف : طاقم الزمن
الإيداع القانوني : 2014MO2312
ردمك:978-9954-516-27-0
ردمد:2028-3792
التوزيع : سبريس
العنوان : 153، شارع سيدي محمد بن عبد الله، رقم 7 - العكاري - الرباط
الهاتف + الفاكس : 00 212 5 37 29 98 44
البريد الإلكتروني : az_zaman@hotmail.com
manchourat@gmail.com


مقدمة

مما لا ريب فيه أن التصوف غدا من الظواهر العقدية والنفسية والسلوكية، التي تعكسها الحياة المعاصرة في شتى بلدان العالم. وإذا كانت هذه الظاهرة قد عرفت أساسا لدى الشعوب المتدينة، كالشعب المسلم أو اليهودي أو المسيحي أو البودي، فإنها قد بدأت تنتشر في المجتمعات الغربية العلمانية، كرد فعل ضد التيار المادي الذي اجتاح ثقافة هذه المجتمعات، حيث أصبح التصوف الإسلامي أو المسيحي أو البودي، يدرس في الجامعات الغربية، كما كثرت المؤسسات والجمعيات والزوايا والنوادي، التي يؤمها المتصوفة الغربيون فارين من جحيم الحضارة المادية.

ولعل الأبحاث والدراسات والندوات حول مادة التصوف في العالم الغربي اليوم، أكثر غزارة وعمقا من تلك التي تقام، أو تصدر في البلدان الإسلامية.

ومن ناحية أخرى، لاحظ بعض الباحثين والنقاد في ميدان السياسة الثقافية في العالم، ان الحكومات الغربية لا تخشى كثيرا من انتشار الإسلام الصوفي بين رعاياها، في حين تعبر عن استيائها وخوفها من الإسلام السلفي ، أو ما تسميه «بالإسلام الإرهابي»..!! كما أن معظم الحكومات في العالم الإسلامي تعبر عن الإحساس نفسه، مما يفيد أن حلقات السياسة العالمية مرتبطة فيما بينها ارتباطا وثيقا. وهكذا فإن ظاهرة التصوف تحظى بالقبول والمباركة من قبل أصحاب القوة والقرار السياسي في العالم، لكون هذه الظاهرة تحاصر، بانتشارها، الإسلام السني أو السلفي. **والخلاصة** أن التصوف الذي غدا مكونا من مكونات الثقافة العالمية، يقوم بدورين هامين:

أولهما: تلبية الرغبة النفسية والعقدية لدى الشخص المتصوف.

وثانيهما: خدمة هدف من أهداف السياسة.

ومما يؤسف له، أن التصوف المنتشر الآن في المجتمعات الغربية، أو التصوف الطرقي في العالم الإسلامي، كلاهما بعيدان شكلا ومضمونا عن تصوف الرعيل الأول، أو مدرسة المؤسسين من أمثال؛ الفضيل بن عياض وأبي القاسم الجنيد والحارث المحاسبي وغيرهم.

ويرجع اشتغالي بميدان التصوف إلى مطلع الثمانينيات من القرن العشرين الميلادي، حيث مارست تجربة صوفية عملية، وقرأت كثيرا من المصادر والمصنفات

والـدراسـات الـصـوفـيـة خـلال عـقـد مـن الـزمـن، وأسـنـد إلـي تـدريس مـادة التصوف في كلية أصـول الـديـن بتطوان، وكـذا مـادة الفلسفة الإسـلامـيـة، كما نشـرت بعض الأبـحـاث والمـقـالات المتعلقة بالموضوع.
وفي يوم من أيام رمضان لسنة 1431هـ/ 2010م، أشار علي ولدي عبد الرحمن حفظه الله، بالإسهام في الحوار الصوفي من خلال المنتديات الصوفية المنتشرة عبر شبكة الإنترنيت، فاستحسنت رأيه ودخلت في حوار مع أشخاص متصوفة، يعملون في «منتدى الصوفية»، ذلك الحوار الذي استغرق ما يقرب من شهر، والذي أثمر نص هذه المناظرة التي أقدمها لطلبتي وللقراء المهتمين بمجال التصوف.
وتعتبر المناظرة من الفنون الأدبية والفكرية، التي اشتهر بها كبار العلماء من الفقهاء، والأصوليين، والكلاميين، والمتفلسفة، والمناطقة. كما ناظر علماء مسلمون أصحاب الملل من اليهود والنصارى والمجوس، في موضوعات عقدية وفكرية متنوعة.
ومن المناظرات المشهورة في التراث الإسلامي؛ مناظرات الإمـام الشافعي للفقهاء في عصره، ومناظرات الإمام أبي حنيفة، ومناظرة أبي سعيد السيرافي لأبي بشر متى المسيحي في موضوع المنطق، ومناظرات الشيخ أحمد بن تيمية لخصومه من أصحاب الأهواء والبدع.
والمـنـاظـرة هـي المحـاورة بـين شخصين أو فـريـقـين حـول موضوع ما، لكل شخص أو فريق منهما، وجهة نظر فيه، تخالف وجهة نظر الشخص أو الفريق الآخـر. وكلاهما

يحاول من خلال المناظرة إثبات رأيه وإبطال رأي خصمه.

قال أبو الوليد الباجي الاندلسي عن الجدل انه : «من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شانا، لانه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال... ولولا تصحيح الوضع في الجدل، لما علم الصحيح من السقيم، ولا المعوج من المستقيم»[1].

والمناظرة لها علاقة متينة بموضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ قال أبو الحسن الأشعري في هذا الصدد: «إن أول ما ما يجب في المناظرة؛ تقديم التقرب إلى الله عز وجل، ومجانبة الرياء والمباهاة والمحك واللجاج والتكسب، وأن يجري في ذلك مجرى المؤتمر لما أمره الله تعالى به؛ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...»[2].

وقال الإمام أبو المعالي الجويني:

«إذا رأى العالم مثله يزل ويخطئ في شيء من الأصول والفروع، وجب عليه، من حيث وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دعاؤه عن الباطل وطريقه إلى الحق والصواب. فإذا لج في خطابه وقوى على الحق شبهته، وجب على المصيب دفعه عن باطله والكشف

---

1 أبو الوليد الباجي: «المنهاج في ترتيب الحجاج»، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، 1987، ص 8.

2 – أبو الحسن الأشعري: «مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري من إملاء الشيخ الإمام أبي بكر محمد أبي الحسن بن فورك»، تحقيق دانيال جيماريه، دار المشرق بيروت 1987، ص293.

له عن خطئه، بما أمكنه من طريق البرهان وحسن الجدال، فحصل إذ ذاك بينهما المجادلة من حيث لم يجدا بدا منه في تحقيق ما هو الحق وتمحيق ما هو الشبهة والباطل، وصار إذ ذاك بهذا المعنى، الجدل من آكد الواجبات، والنظر في أولى المهمات، وذلك يعم أحكام التوحيد والشريعة»[3].

وقبل هذا وذاك، « إن القرآن مملوء من الحجج والأدلة والبراهين في مسائل التوحيد وإثبات الصانع والمعاد... فلا يذكر المتكلمون وغيرهم دليلا صحيحا على ذلك، إلا وهو في القرآن بأفصح عبارة وأتم معنى... وهذا أمر تميز به القرآن وصار العلماء به من الراسخين في العلم، وهو العلم الذي يطمئن إليه القلب، وتسكن إليه النفس، ويزكو به العقل، وتستنير به البصيرة، وتقوى به الحجة، ولا سبيل لأحد من العالمين إلى قطع من حاج به... ولكن أهل هذا العلم لا تكاد الأعصار تسمح منهم إلا بالواحد بعد الواحد... إن القرآن مملوء بالاحتجاج، وفيه جميع انواع الأدلة والأقيسة الصحيحة، وأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بإقامة الحجة والمجادلة... وهذه مناظرات القرآن مع الكفار موجودة فيه، وهذه مناظرات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لخصومهم وإقامة الحجة عليهم لا ينكر ذلك إلا جاهل مفرط في الجهل»[4].

---

3 - أبو المعالي الجويني: «الكافية في الجدل»، تحقيق فوقية حسين محمود، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1979، ص24.

4 - محمد بن قيم الجوزية: «مفتاح دار السعادة»، دار الكتب العلمية بيروت ج1 ص144.

وبعد، فلست من المناظرين، ولا مناظرتي هاته ترقي إلى مستوى المناظرات المشار إليها، وإنما هي محاولتي الأولى في هذا الميدان، خضت غمارها بطريقة عفوية وتلقائية، حيث إن المناظرة، قبل كونها فنا وعلما له ضوابطه وشروطه، تعكس طبيعة المخاطبة البشرية الفطرية والتفاعل الطبيعي بين بني الإنسان. فإن كان الصواب حليفي فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي، والله الموفق وهو نعم المولى ونعم النصير.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد: أقدم بين أيديكم، زوار وقراء «منتدى الصوفية»، مقالا من مقالاتي المتعلقة بمجال التصوف والذي يحمل عنوان:

«بين شيخ التربية

و

شيخ العلم والتعليم»

تمهيد:

مفهوم القدوة عند الصوفية

لعل من نافلة القول، أن شيخ الطريقة يعتبر العمود الفقري لكل طريقة صوفية، فالشيخ كلما كان متمتعا بصفات وأحوال نفسية وروحانية متميزة، اكتسبت طريقته مزيدا من الصيت والذيوع وكثر مريدوها. وإن من أصول أصحاب الطرق، ضرورة وجود شيخ مأذون له أو لمن ينوب عنه في إعطاء الورد للمريد. وينظر المريدون إلى شيخهم نظرة المريض إلى الطبيب؛ فكما ان لأمراض البدن طبيبا مختصا في علاجها، كذلك الأمر فيما يتعلق بأمراض النفس وعلل القلوب، إذ يتصدى لها الشيخ الصوفي ويعالجها بما أوتي من علوم ومعارف وأحوال، يستطيع بواسطتها استكشاف نفسية المريض، والوصول إلى مكامن الداء والمرض في قلبه، ثم يصف له العلاج ويداويه بما يناسبه من الدواء.

ويجب على المريد كي يحقق ما يريد تحقيقه، ان يتأدب مع شيخه كل الأدب، ويطيعه فيما أمر ونهى، ويكن له الاحترام والتعظيم.

قال محيي الدين بن عربي في أول الباب الواحد

والثمانين بعد المائة من كتاب «**الفتوحات المكية**»:

ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله

فقم بها أدبا لله بالله

هم الأدلاء والقربى تؤيدهم

على الدلالة تأييدا على الله

كالانبياء تراهم في محاربهم

لا يسألون من الله سوى الله

فإن بدا منهم حال تولههم

عن الشريعة فاتركهم مع الله!!

وقال **أبو حامد الغزالي**: «فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه إلي سواء السبيل، فإن سبيل الدين غامض!!، وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة، فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لامحالة، فمن سلك سبيل البوادي المهلكة بغير خفير فقد خاطر بنفسه وأهلكها، ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها، فإنها تجف على القرب، وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر. فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة، شيخه فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد... ، وليعلم ان نفعه في خطئه لو أخطأ، أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب، فإذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه ان يحميه، ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهي أربعة أمور الخلوة، والصمت، والجوع، والسهر» [5].

---

5 -أبو حامد الغزالي؛ «إحياء علوم الدين»، ج 3، ص113-112 دارالحديث القاهرة، 1998-1419.

ويقول محمد الرفاعي الصيادي في كتابه «قلادة الجواهر»: « ومن آداب المريد اللازمة أولا: حفظ قلب شيخه، ومراعاته في الغيبة والحضور... والتواضع له ولذريته وأقاربه، وثبوت القدم على خدمته، وأوامره كليها وجزئيها، وربط القلب به، واستحضار شخصه في قلبه في جميع المهمات، واستمداد همته، والفناء فيه، وان يكون ملازما له لا يفتر عنه طرفة عين، ولا ينكر عليه ما ظهر منه من صفة عيب، فلربما يظهر من الشيخ ما لا يعلمه المريد»[6].

ثم إن المريد لا يتعلق قلبه بشيخ سوى شيخه، ويفرده بالتعظيم والتبجيل ويتخذه وحده قبلة وقدوة. قال عبد الوهاب الشعراني: «ومن شأنه أن لا يكون له إلا شيخ واحد، فلا يجعل له قط شيخين؛ لأن مبنى طريق القوم على التوحيد الخالص، وقد ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الأحد والثمانين ومائة من «الفتوحات المكية» ما نصه: «أعلم أنه لا يجوز لمريد أن يتخذ إلا شيخا واحدا لإن ذلك أعون له في الطريق، وما رأينا مريدا قد أفلح على يد شيخين، فكما أنه لم يكن وجود العالم بين إلهين ولا المكلف بين رسولين ولا امرأة بين زوجين، فكذلك المريد لا يكون بين شيخين»[7].

6 - محمد أبو الهدى الصيادي؛ «قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر»، ص 278، ط. الأولى، 1980-1400، بيروت.

7 - عبد الوهاب الشعراني؛ «الانوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية»، ج1، ص40، المكتبة العلمية، بيروت، 1992-1412.

وقال عبد المجيد بن محمد الخاني النقشبندي في كتابه «السعادة الأبدية»: «أعلم أيها الأخ المؤمن أن الرابطة عبارة عند ربط القلب بالشيخ الكامل،... وحفظ صورته بالخيال ولو عند غيبته أو بعد وفاته، ولها صور؛ أهونها أن يتصور المريد صورة شيخه الكامل بين عينيه، ثم يتوجه إلى روحانيته في تلك الصورة، ولا يزال متوجها إليها بكليته حتى يحصل له الغيبة أو أثر الجذب... وهكذا يداوم على الرابطة حتى يفنى عن ذاته وصفاته في صورة الشيخ... فتربيه روحانية الشيخ بعد ذلك إلى أن توصله إلى الله تعالى، ولو كان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب، فبالرابطة يستفيض الأحياء من الأموات المتصرفين»[8].

لا شك أن القارئ الكريم قد فهم من خلال هذه النصوص جانبا مهما من جوانب العلاقة التي تربط المريد بشيخه الطرقي، والتي تبدأ بأصناف التأدب والاحترام وتنتهي بالغيبة والفناء في صورة شيخه التي لا تفارق خياله طرفة عين، ومن هنا لا يعجب المرء إذا سمع بمريد يستغيث بشيخه ويستنجده وهو غائب عنه أو قد ارتحل إلى الآخرة.

نقد مفهوم القدوة عند الصوفية:

قال العلامة أحمد بن تيمية:

«وخير الشيوخ الصالحين، وأولياء الله المتقين: أتبعهم

8- عبد المجيد الخاني الخالدي النقشبندي؛ «السعادة الأبدية فيما جاء به النقشبندية»، ص. 23-22، إسطانبول 1981-1401.

له وأقربهم وأعرفهم بدينه وأطوعهم لأمره: كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي. وسائر التابعين بإحسان، وأما الحسب فلله وحده ولهذا قالوا: (**حسبنا الله ونعم الوكيل**) ولم يقولوا ورسوله... فليس لأحد أن يدعو شيخا ميتا أو غائبا: لا من الانبياء ولا غيرهم، فلا يقول لأحدهم: ياسيدي فلان انا في حسبك أو في جوارك، ولا يقول بك أستغيث وبك أستجير» (8)*.

ثم إن أسلوب التلقي الذي ينتهجه المريد مع شيخه الطرقي، لا يخلو من عيوب معرفية وتربوية وأخطاء تعبدية وشرعية، ذلك أن هذه العلاقة تجعل المريد محصورا في دائرة مغلقة بحيث يكون الشيخ بمثابة النواة المركزية، والمريدون عبارة عن إلكترونات تحوم حولها، ومن ثم فإن المعارف والأفكار التي يكتسبها المريد يستمدها من روح شيخه وشخصيته؛ إما يقظة وإما مناما، فيتشكل عنده نمط فكري واحد ينتظم من خلاله وبواسطته تصوره الوجودي والكوني، وكذا حياته الاجتماعية والدينية. وهكذا تغدو عين الشيخ المصدر الوحيد للإلهامات والإشراقات المعرفية، وبما ان المريد ينظر إلى شيخه الطرقي بعين الرضا والمحبة والتقديس، فإن عقله عاجز عن إدراك ما يمكن أن يصدرعنه من أخطاء وهفوات، وكيف يصدر ذلك عن الشيخ الكامل والقطب الرباني صاحب الأحوال والمقامات ؟!!. فالدين هو ما يفهمه شيخه والعبادة هي التي يمارسها ويدعو إليها.

---

*8-أحمد بن تيمية: مجموعة الفتاوي ج10 :«علم السلوك» ص620.

ومما له علاقة بأسلوب التلقي المشار إليه ما يتلقاه المريد عن شيخه من الأوراد التي بواسطتها يتقوى قلبه وتصبو نفسه نحو الترقي في الأحوال والمقامات، بيد أن هذا الترقي كثيرا ما يؤدي بصاحبه إلى الوقوع في الجذب أوالفناء، مما قد يدفع به إلى العزلة التامة عن المجتمع، وهذا ما لا يحصل للمسلم الذي يذكر الله كما أمر، وكما بين نبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه، في سنته المطهرة. قال الفقيه أحمد بن تيمية: «وكذلك العباد: إذا تعبدوا بما شرع الله من الأقوال والأعمال ظاهرا وباطنا، وذاقوا طعم الكلم الطيب والعمل الصالح الذي بعث الله به رسوله لوجدوا في ذلك من الأحوال الزكية والمقامات العلية والنتائج العظيمة، ما يغنيهم عما قد حدث من نوعه كالتغبير ونحوه من السماعات المبتدعة الصارفة عن سماع القرآن، وانواع من الأذكار والأوراد لفقها بعض الناس.»[9]

وقال الإمام الأصولي أبو إسحاق الشاطبي:

«إن اتباع الهوى طريق إلى المذموم، وإن جاء في ضمن المحمود؛ لانه إذا تبين انه مضاد بوضعه لوضع الشريعة، فحيثما زاحم مقتضاها في العمل كان مخوفا.

أما **أولا** فإنه سبب تعطيل الأوامر وارتكاب النواهي، لانه مضاد لها.

---

9 -أحمد بن تيمية؛ «اقتضاء الصراط المستقيم»، ص 282، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1419

وأما **ثانيا** فإنه إذا اتبع واعتيد ربما أحدث للنفس ضراوة وانسا به، حيث يسري معها في أعمالها، ولا سيما وهو مخلوق معها ملصق بها في الأمشاج. فقد يكون مسبوقا بالامتثال الشرعي فيصير سابقا له، وإذا صار سابقا له صار العمل الامتثالي تبعا له وفي حكمه، فبسرعة ما يصير صاحبه إلى المخالفة، ودليل التجربة حاكم هنا.

وأما **ثالثا**، فإن العامل بمقتضى الامتثال من نتائج عمله الالتذاذ بما هو فيه، والنعيم بما يجتنيه من ثمرات الفهوم، وانفتاح مغاليق العلوم. وربما أكرم ببعض الكرامات، أو وُضِع له القبول في الأرض فانحاش الناس إليه، وحلقوا عليه، وانتفعوا به، وأموه لأغراضهم المتعلقة بدنياهم وأخراهم»[10]...

لاحظ معي أيها القارئ اللبيب كيف نبه المحقق الأصولي أبو إسحاق على هذه المسألة الدقيقة، وبين فيها ان اتباع الهوى يجر المسلم إلى المذموم وإن جاء في ضمن المحمود. فالشيخ الطرقي الذي وضع أورادا وصيغا للذكر على طريقة غير طريقة الشرع الحكيم وعلى منهج لا عهد لأصحابه والتابعين به، يكون قد ابتدع في أمر تعبدي وقفي لا مجال فيه للاجتهاد أو إبداء الرأي، وإن بدا له ان هذه الأوراد والأذكار تدور في فلك ما هو محمود ومحبب إلى الله سبحانه. وهذا باب من الأبواب التي سلكها كثير من السالكين والعباد فزلت فيها أقدامهم.

10- أبو إسحاق الشاطبي: «الموافقات في أصول الشريعة»، المجلد 1، الجزء 2، ص 134-133، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

بين شيخ التربية وشيخ العلم والتعليم

بعد هذا الكلام الموجز حول مفهوم القدوة عند الشيخ الطرقي، وعن أسلوب التلقي المعتمد بين المريد وشيخه، وعن طبيعة الأوراد والأذكار التي يضعها شيوخ الطرق الصوفية، وماذا قال في شانها بعض العلماء والفقهاء. . انتقل إلى مناقشة مفهوم الشيخ الطرقي باعتباره شيخ تربية. وهل يتوجب على المسلم المتعلم ان يتخذ شيخا من شيوخ التربية يسلك به طريقة معينة في العبادة وتزكية النفس، أم يقتصر على شيوخ العلم والتعليم ويتفقه على أيديهم ؟.

ليس مثلي من يجيب عن هذا السؤال أو يحسم فيه، ولكني «أعطي القوس باريها» كما قال الشاعر:

يا باري القوس بريا ليس تحسنه
لا تفسِدَنْها وأعط القوس باريها

أقول وبالله التوفيق: ذكر عبد الفتاح أبو غدة في هامش من هوامش تحقيقه لكتاب «رسالة المسترشدين» لأبي عبد الله الحارث المحاسبي، ما نصه:

وقد كتب الإمام الفقيه الأصولي المحدث النظار أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي الغرناطي، صاحب كتاب «الموافقات» و«الاعتصام» وغيرهما من الكتب النفيسة الباهرة، المتوفى سنة 790، من غرناطة قاعدة الاندلس، إلى شيخ الصوفية في عصره أبي عبد الله محمد بن عباد النفزي، خطيب

جامع القرويين في مدينة فاس، المتوفى سنة 792 رحمهما الله تعالى.

كتب إليه يسأله عن مسألة وقعت في غرناطة، واختلفت فيها انظار العلماء، وكثر فيها القيل والقال، وهي: هل على السالك إلى الله تعالى ان يتخذ -لزاما- شيخ طريقة وتربية يسلك على يديه؟ أم يسوغ له ان يكون سلوكه إلى الله تعالى من طريق التعلم والتلقي من أهل العلم دون ان يكون له شيخ طريقة؟.

فكتب إليه الشيخ ابن عباد رحمه الله تعالى كتابة العالم المنصف المخلص، فقال له ما خلاصته: كما في كتابه «الرسائل الصغرى ص 106 وما بعدها وص 125 وما بعدها: «الشيخ المرجوع إليه في السلوك ينقسم إلى قسمين: شيخ تعليم وتربية، وشيخ تعليم بلا تربية.

فشيخ التربية ليس ضروريا لكل سالك، وإنما يحتاج إليه من فيه بلادة ذهن واستعصاء نفس. وأما من كان وافر العقل منقاد النفس، فليس بلازم في حقه، وتقيده به من باب الأولى. وأما شيخ التعليم فهو لازم لكل سالك.

أما كون شيخ التربية لازما لمن ذكرناه من السالكين فظاهر، لان حجب انفسهم كثيفة جدا، ولا يستقل برفعها وإماطتها إلا الشيخ المربي، وهم بمنزلة من به علل مزمنة، وأدواء معضلة من مرض الأبدان، فإنهم لا محالة يحتاجون إلى طبيب ماهر يعالج عللهم بالأدوية القاهرة.

وأما عدم لزوم الشيخ المربي لمن كان وافر العقل منقاد النفس، فلان وفور عقله وانقياد نفسه يغنيانه عنه، فيستقيم له من العمل بما يلقيه إليه شيخ التعليم ما لا يستقيم لغيره. وهو واصل بإذن الله تعالى، ولا يخاف عليه ضرر يقع له في طريق السلوك إذا قصده من وجهه، وأتاه من بابه. واعتماد شيخ التربية هو طريق الأئمة المتأخرين من الصوفية، واعتماد شيخ التعليم هو طريق الأوائل منهم. ويظهر هذا من كتب كثير من مصنفيهم، كالحارث المحاسبي، وأبي طالب المكي، وغيرهما، من قبل انهم لم ينصوا على شيخ التربية في كتبهم على الوجه الذي ذكره أئمة المتأخرين، مع انهم ذكروا أصول علوم القوم وفروعها، وسوابقها ولواحقها، لا سيما الشيخ أبو طالب، فعدم ذكرهم له دليل على عدم شرطيته ولزومه في طريق السلوك. وهذه هي الطريقة السابلة - أي المسلوكة- التي انتهجتها أكثر السالكين، أشبه بحال السلف الأقدمين، إذ لم ينقل عنهم انهم اتخذوا شيوخ التربية، وتقيدوا بهم والتزموا معهم ما يلتزمه التلامذة مع الشيوخ المربين، وإنما كان حالهم اقتباس العلوم، واستصلاح الأحوال بطريق الصحبة والمؤاخاة بعضهم لبعض. ويحصل لهم بسبب التلاقي والتزاور مزيد عظيم يجدون أثره في بواطنهم وظواهرهم، ولذلك جالوا في البلاد، وقصدوا إلى لقاء الأولياء والعلماء والعباد»[11].

11- عبد الفتاح أبو غدة؛ تحقيق «رسالة المسترشدين»، ص 40-39، دار السلام، ط. 5، 1988-1409.

يستفاد من جواب محمد بن عباد النفزي شيخ الصوفية في عصره، ان شيخ التعليم هو المعول عليه في تحصيل العلوم والمعارف وهو قبلة كل سالك يسلك سبيل العلم والاستقامة ويريد التزود للدار الآخرة. والأحاديث النبوية في طلب العلم وكتابته وتحصيله وارتياد مجاله كثيرة جدا كما أن أنوه علماء الأمة وفقهاءها كتبوا في هذا الموضوع رسائل ومصنفات عديدة، والنبي صلى الله عليه وسلم أشار في أحاديثه إلى قدر العالم وأهميته وعلو مرتبته، وكونه أفضل من العابد، لانه يفقه الناس ويعلمهم أمور دينهم ودنياهم. وإذا استقرأنا هذه الأحاديث المتعلقة بالعلم والعلماء لا نجد فيها ذكرا لشيخ التربية أو الطريقة، لان العلماء الأتقياء الربانيين المشار إليهم في الأحاديث النبوية هم أولى الناس بتربية السالكين المتعلمين، فهم يقذفون في قلوب المتعلمين علوم الكتاب والسنة وغيرها من العلوم، مصحوبة بالخشية والتواضع واستحضار عظمة الله سبحانه، إلى غير ذلك من المعاني الروحية والإيمانية التي تنور قلوب أولئك المتعلمين، فيتعلمون العلوم والمعارف كما يتعلمون مبادئ التربية، والاستقامة، والأخلاق الحسنة، ومحبة الله ورسوله. لهذا جاء في نص الجواب: «وهذه هي الطريقة السابلة أي المسلوكة التي انتهجها أكثر السالكين، وهي أشبه بحال السلف الأقدمين، إذ لم ينقل عنهم انهم اتخذوا

شيوخ التربية وتقيدوا بهم، وإنما كان حالهم اقتباس العلوم استصلاح الأحوال بطريقة الصحبة والمؤاخاة بعضهم لبعض». وفي قوله رحمه الله «اعتماد شيخ التربية هو طريقة الأئمة المتأخرين من الصوفية، واعتماد شيخ التعليم هو طريق الأوائل منهم يذكرنا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم : «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».[12] فالأولى اعتماد شيخ التعليم لانه الأصل، أما شيخ التربية فلم يكن له ذكر في القرون الأولى وإنما ظهر في القرون المتأخرة بسبب استشراء داء البلادة وتكاثر أصحاب الحجب والعلل النفسية، وأمراض القلوب والغفلة. ولا يفوتني ان انوه بالنزاهة العلمية، والموضوعية التامة لهذا العالم الجليل محمد بن عباد النفزي رحمه الله، حيث لم تمنعه مشيخته الصوفية من ترجيح كفة شيخ التعليم، والانتصار للعلم والفقه، ومنح الأولوية والأسبقية لهما، في حين جعل دائرة شيخ التربية أو شيخ الطريقة ضعيفة جدا، لا تضم إلا «من فيه بلادة ذهن واستعصاء نفس».

فتأمل معي أيها القارئ الفطن، واستعمل ذهنك الثاقب، وانظر كيف كان علماء القرون الماضية من أصحاب الذوق الصوفي النقي يفهمون التصوف، ويقيدونه بالشريعة، ويضبطون قواعده بضوابط الكتاب والسنة، حتى تذوب ماهية التصوف في ماهية الإسلام، وتتلاشى علامات التمييز، ويبقى الحق هو

12 - صحيح، أخرجه البخاري.

ما جاء به القرآن وكلام الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه. لكن خلف من بعدهم خلف انحرفوا عن هذا النهج القويم، وجعلوا شيخ التربية أو شيخ الطريقة أولى من شيخ التعليم، بل اعتبروا تحصيل العلوم سببا في حرمان النفس من التزكية والاستقامة والترقي في مدارج الإيمان !! أو مانعا يحول دون الوصول إلى عالم الأذواق والحقائق الروحية والمعارف الكشفية والإلهامية !!، ناهيك عن الاعتقادات الفاسدة الضالة، المتعلقة بذوات هؤلاء الشيوخ، وكراماتهم وتصرفاتهم في النفوس والعوالم !!

ويقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله في معرض الحديث عن شيخ التربية أو الطريقة: «ومن أمكنه الهدى من غير انتساب إلى شيخ معين فلا حاجة به إلى ذلك. ولا يستحب له ذلك، بل يكره له. وأما إن كان لا يمكنه ان يعبد الله بما أمره إلا بذلك، مثل ان يكون في مكان يضعف فيه الهدى والعلم والإيمان والدين، يعلمونه ويؤدبونه، لا يبذلون له ذلك إلا بانتساب إلى شيخهم، أو يكون انتسابه إلى شيخ يزيد في دينه وعلمه، فإنه يفعل الأصلح لدينه. وهذا لا يكون في الغالب إلا لتفريطه، وإلا فلو طلب الهدى على وجهه لوجده»[13].

بعد ان أشار شيخ الإسلام أحمد بن تيمية إلى ان السالك ملتمس الهدى لا يلزمه «الانتساب إلى شيخ» ويقصد بالشيخ شيخ التربية أو الطريقة، بل «لا

---

13 – أحمد بن تيمية؛ المرجع السابق، ص 514.

حاجة به إلى ذلك»... نبه في آخر كلامه على مسألة التفريط، إذ قال: «وهذا لا يكون في الغالب إلا لتفريطه»، وإلا فلو طلب الهدى على وجهه لوجده».
وهذا ما يلاحظ في عصرنا، إذ تجد معظم المريدين الذين يلتفون حول شيخ من شيوخ الطريقة، قد فرطوا في تحصيل العلوم والتفقه في الدين، واستثقلوا ذلك لما فيه من العناء والمشقة، واستوعروا طريق العلم، وقالوا نحن ضعفاء ولن يصلح أحوالنا إلا شيخ طريقة صوفية، ونسوا ان أول ما أمر به الله تعالى القراءة وطلب العلم، حيث يقول جل وعلا في سورة العلق: «اقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم».
أي انه أوجب علينا القراءة، وتحصيل العلم، وتدبر القرآن، وفي ذلك حث على إعمال العقل، وتحريك آليات الذهن وتفعيلها، وتفجير الطاقات الروحية الكامنة في القلب بواسطة التفكير والتأمل والاستدلال، مع الاسترشاد بالوحي كتابا وسنة، والجلوس مع أولي العلم من العلماء والفقهاء الربانيين.
أما الارتماء في أحضان شيخ طرقي، والاعتماد عليه وحده في عبادة الله وإصلاح النفس وتزكيتها وإبطال العمل بمقتضيات «اقرأ باسم ربك»، وما يتبع ذلك من تدبر وتأمل وتحصيل وإرادة، واستغلال لآليات ومناهج المعرفة، وربط ذلك كله بفقه الواقع ووظيفة الاستخلاف، فإنه تفريط ما بعده تفريط، وتقصير

في القيام بواجب تحصيل العلم والمعرفة، ويكون السالك بذلك قد طلب الهدى على غير وجهه، إذ كما قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: «لو طلب الهدى على وجهه لوجده».

موقف الإمام الشوكاني:

وأخيرا أختم هذا الموضوع بما ختم به الإمام محمد بن علي الشوكاني في كتابه «أدب الطلب ومنتهى الأرب»، وهو كتاب انصح طلاب العلم بقراءته لما يحويه من موضوعات نفيسة متعلقة بمنهجية تحصيل العلوم الإسلامية، ودور العلماء في النصح والتوجيه ومحاربة الجهل والتقليد والتعصب... . **يقول الإمام الشوكاني** رحمه الله وهو يتحدث عن «ابتلاء الإسلام بالمذاهب وتقديس الأموات»: «... ويلتحق بالأمرين المذكورين أمر ثالث: وإن لم تكن مفسدته كمفسدتهما، ولا شموله كشمولهما، وهو ما صارت عليه هذه الطائفة المدعوة بالمتصوفة، فقد كان أول هذا الأمر، يطلق هذا الاسم على من بلغ في الزهد والعبادة إلى أعلى مبلغ، ومشى على هدي الشريعة المطهرة، وأعرض عن الدنيا وصد عن زينتها، ولم يغتر ببهجتها، ثم حدث أقوام جعلوا هذا الأمر طريقا إلى الدنيا، ومدرجا إلى التلاعب بأحكام الشرع، ومسلكا إلى أبواب اللهو والخلاعة، ثم جعلوا لهم شيخا يعلمهم كيفية السلوك، فمنهم من يكون

مقصده صالحا وطريقته حسنة، فيلقن أتباعه كلمات تباعدهم من الدنيا وتقربهم من الآخرة، وينقلهم من رتبة إلى رتبة، على أعراف يتعارفوها، ولكنه لا يخلو غالب ذلك من مخالفة للشرع وخروج عن كثير من آدابه. والخير كل الخير في الكتاب والسنة، فما خرج عن ذلك فلا خير فيه، وإن جاءنا أزهد الناس في الدنيا وأرغبهم في الآخرة، وأتقاهم لله تعالى وأخشاهم له في الظاهر فإنه لا زهد لمن لم يمش على الهدي النبوي، ولا تقوى ولا خشية لمن لم يسلك الصراط المستقيم. فإن الأمور لا تكون طاعات بالتعب فيها والنصب وإيقاعها على أبلغ الوجوه. بل إنما تكون طاعات خالصة محضة مباركة نافعة لموافقة الشرع، والمشي على الطريقة المحمدية.

ولا أنكر أن في هذه الطائفة من قد بلغ في تهذيب نفسه وغسلها من الطواغيت الباطنة والأصنام المستورة عن الناس، كالحسد والكبر والعجب والرياء ومحبة الثناء والشرف والمال والجاه مبلغا عظيما، وارتقى مرتقا جسيما، ولكني أكره له ان يتداوى بغير الكتاب والسنة، وان يتطبب بغير الطب الذي اختاره الله لعباده، فإن في القوارع القرآنية/ والزاجر المصطفوية، ما يغسل كل قذر، ويدحض كل درن، ويدمغ كل شبهة، ويدفع كل عارض من عوارض السوء. فانا أحب لكل عليل في الدين ان يتداوى بهذا الدواء، فيعكف على تلاوة كتاب الله متدبرا له متفهما لمعانيه، باحثا عن مشكلاته، سائلا عن معضلاته

ويديم النظر في كتب السنة المعتبرة عند أهل الإسلام كالأمهات الست وما يلحق بها. ويستكثر من مطالعة السيرة النبوية، ويتدبر ما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليله ونهاره، ويتفكر في أخلاقه وشمائله، وهديه وسمته، وما كان عليه أصحابه وكيف كان هديهم في عباداتهم ومعاملاتهم. فإنه إذا تداوى بهذا الدواء ولاحظته العناية الربانية، وجذبته الهداية الإلهية، فاز بكل خير مع ما له من الأجر الكثير، والثواب الكبير، في مباشرة هذه الأسباب وإذا حال بينه وبين الانتفاع بهذه الأمور حائل، ومنعه من الظفر بما يترتب عليها مانع، فقد نال بتلك الأسباب التي باشرها أجرا عظيما، لانه طلب الخير من معدنه، ورام نيل الرشد من موطنه، فكان له في تلك الأشغال من الأجر ما لطلبة علم الشرع. لانه قد جهد نفسه في الأسباب، ولم يفتح له الباب. وبعد هذا كله فلست أجهل ان في رجال هذه الطائفة المسماة بالصوفية من جمع الله له بين الملازمة لهذه الشريعة المطهرة والمشي على الطريقة المحمدية والصراط الإسلامي، مع كونه قد صار من تصفية باطنه من كدورات الكبر والعجب والحسد والرياء ونحوها بمحل يتقاصر عنه غيره، ويعجز عنه سواه، ولكني في هذا المصنف بسبب الإرشاد إلى العمل بالكتاب والسنة، والتنفير عما عداهما كائنا ما كان. فلست أحب لمن أراد القرب إلى الله والفوز بما لديه والظفر بما عنده، ان يتسبب إلى ذلك بسبب خارج عنهما من رياضة أو مجاهدة أو

خلوة أو مراقبة، أو يأخذ عن شيخ من شيوخ الطريقة الصوفية شيئا من الاصطلاحات الموصلة إلى الله عندهم، بل يطلب علم الكتاب والسنة، ويأخذهما عن العلماء المتقنين لهما المؤثرين لهما على غيرهما المتجنبين لعلم الرأي وما يوصل إليه، النافرين عن التقليد وما يحمل عليه، فإنه إذا فعل ذلك سلك مسلك النبوة، وظفر بهدي الصحابة، وسلم من البدع كائنة ما كانت، فعند ذلك يحمد مسراه، ويشكر مسعاه، ويفوز بخير أولاه وأخراه.»(*13).

لقد أحسن الإمام محمد بن علي الشوكاني الكلام عندما تعرض لمسألة الموازنة بين سلوك المتصوفة وسلوك غيرهم ممن يتقيد بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وسنة الصحابة والتابعين، وأثنى على أهل الطائفة الأولى قائلا: « ولا انكر ان في هذه الطائفة من قد بلغ في تهذيب نفسه وغسلها من الطواغيت الباطنية... مبلغا عظيما»، أو قوله « فلست أجهل ان في هذه الطائفة المسماة بالصوفية من قد جمع الله له بين الملازمة لهذه الشريعة المظهرة....» لكنه عقب قائلا: «فلست أحب لمن أراد القرب إلى الله والفوز بما لديه والظفر بما عنده ان..... من رياضة أو خلوة..... أو يأخذ عن شيخ من شيوخ الطرق الصوفية شيئا من الاصطلاحات الموصلة إلى الله عندهم... بل بطلب علم الكتاب والسنة...»

*-13 محمد بن علي الشوكاني: «أدب الطلب ومنتهى الأدب» دار ابن حزم 1419-1998 ص261.

كاني بهذا العالم القدوة يعض بنواجذه على سنة نبيه، وهو يرغب الناس في طلب الهدي من الكتاب والسنة والإعراض عما سواهما من الطرق التي قد تفضي بسالكيها إلى ما لا يحمد عقباه، لقد كان هذا العالم رحمه الله للعلم مجمعا، وللدين مفزعا، وعلما في علمه وزمانه.

وبعد، أرجو من الله سبحانه وتعالى ان يكون القارئ اللبيب ذي الرأي الثاقب قد انقدح في قلبه، واستقر في عقله، ان القدوة المثلى لا تلتمس عند شيوخ الطرق الصوفية، وإنما تطلب من معدنها الجوهري وعينها الفياضة: محمد صلوات الله وسلامه عليه، وصحابته ومن على أثرهم من العلماء الربانيين إلى يوم الدين.

لكن قد يقول قائل إن العالم الرباني غدا كالكبريت الأحمر، أو دونه بيض الانوق، فانى لي بمن سيأخذ بيدي ويقيني المهالك؟ أقول له: لا يكون هذا الأمر مسوغا لك ان تتخذ شيخا طرقيا، يرشدك ويقيك المهالك، لاننا معشر المسلمين أمة «اقرأ»، إن فقدنا العلماء فلن نفقد القرآن لانه محفوظ، ولن نفقد السنة لانها محفوظة أيضا حسا ومعنى. ويستحيل ان يخلو زمان من وجود عالم رباني؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق»؛ قال محمد بن إسماعيل البخاري: «وهم أهل العلم» [14] ثم إننا لا نقدس الشيوخ الطرقيين ولا شيوخ

---

14 – انظر «فتح الباري، شرح صحيح البخاري»؛ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «لا تزال طائفة من أمتي...» من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ج 15 ص 9087، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، . 2000–1420.

العلم، بل لو افترضنا خلو قرية أو مدينة من عالم رباني يسترشد به الناس، فإنه لن يكون ذلك مانعا من معرفة الحق والوصول إلى الله سبحانه وتعالى، لان كتاب الله موجود والسنة مسطرة بين أيدينا. وهذا ما أشار إليه عالمنا النحرير الشوكاني بقوله: « فانا أحب لكل عليل في الدين ان يتداوى بهذا الدواء فيعكف على تلاوة كتاب الله متدبرا متفهما... إلى... فاز بكل خير».
ثم إن وجود الشيخ الطرقي أو العالم الرباني ليس شرطا في نجاتنا، أي ان الفوز بالجنة ليس متوقفا بالضرورة عليهما، وما أكثر المسلمين الذين شهد لهم الناس بالصلاح والاستقامة، مع انهم لم يلازموا شيوخ الطرق ولا شيوخ العلم.

إن المنهج الصحيح لضبط السلوك وتفجير الطاقات العقلية والروحية، وتسيير السبل لتحقيق الاستخلاف، هو منهج الكتاب والسنة. لكن قوما - غفر الله لهم - آثروا شخصية الشيخ الطرقي على شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولا يقولن قائل إنهم يحبون الرسول صلى الله عليه وسلم، أكثر مما يحبون شيوخهم. . هذا مستحيل فلا يمكن لشخصين ان يتغلغلا في قلب واحد. قال تعالى» ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه».(سورة الأحزاب، آية 4).

فمن أحب النبي صلى الله عليه وسلم حبا ملك شغاف قلبه، لا يستطيع حب غيره بنفس القوة. وكذلك من أحب شيخه وربط قلبه به، وحفظ صورته في خياله،

وكان ملازما له- حيا أو ميتا- لا يفتر عنه طرفة عين، يصعب عليه ان يتوجه إلى روح نبيه صلى الله عليه وسلم بنفس الروح ويحبه بالقوة نفسها.

وأخيرا شتان بين من يستلهم روح النبي صلى الله عليه وسلم وشخصيته ويكثر من ذكره والصلاة عليه، ويقتفي أثره ويهتدي بهديه هدي الفطرة، وبين من يستلهم روح شيخه الطرقي وشخصيته، ويثني عليه ويمدحه ويصحبه في خياله نوما ويقظة. وشتان بين شخصية رسالية تبني رجال الدنيا والآخرة، وتؤسس أمة الاستخلاف، وشخصية طرقية مجالها الطريقة والزاوية والأوراد والطقوس، وغايتها استغفال واستعباد المريدين والأتباع.

د. عبد الله الشارف

مجلة النور تطوان/المغرب عدد 2007-1428

***

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة و السلام على سيدنا رسول الله و آله و صحبه وسلم ..
حياكم الله أخانا عبد الله الشارف في منتدى الصوفية منتدى أهل السنة و الجماعة
نتمنى لكم طيب الإقامة و الإفادة و الاستفادة..
مقالكم أعلاه رائع، بيد ان الوقت لم يسمح بقراءته كله.. على أمل استكماله لاحقاً إن شاء الله.
نسأل الله لنا و لكم كمال التوفيق .. ومرحباً بكم مرة أخرى في منتداكم؛ منتدى الصوفية.

***

عبد الله الشارف

إلى السيد المشرف المحترم ابن عباس القادرى، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد أشكركم على حسن استقبالكم لي في هذا المنتدى، وأسأل الله تعالى ان يجعلنا جميعا في خدمة العلم والمعرفة.

علي الصوفي



أرجو ان يتّسع صدر كاتب الموضوع لما سأقوله :

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

كلام سطحي وعقلاني ساذج، وفيه من الخلط وسوء الفهم الكثير، لا يليق بمستوى من كان دكتورا.

عبد الله الشارف

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد،

ترددت قليلا في الرد على كلامك لانه من قبيل ردود الفعل، ولكونه لا يرقى إلى مستوى الرد، ولا يشتمل على أدنى عنصر من عناصره. وتأس واقتد على الأقل بأسلوب السيد المشرف ابن عباس القادري الذي قال عن مقالي»: مقالكم أعلاه رائع، بيد أن الوقت لم يسمح بقراءته كله». ولعله بعد القراءة المتأنية يتحفني والقراء، برد علمي هادف وهادئ.

أخي على الصوفي الباحث :

إذا كنت تدعى ان كلامي» سطحي وعقلاني وساذج، وفيه من الخلط وسوء الفهم...»، فإن هذه الأوصاف تنطبق على كلام من أشرت إليهم واستشهدت بأقوالهم، من العلماء والفقهاء وهم: شيخ الإسلام ابن تيمية، وأبو إسحاق الشاطبي الأصولي الاندلسي الجهبيذ، والعلامة الفقيه ابن عباد النفزي الفاسي محتسب الصوفية في زمانه، والإمام الشوكاني الفقيه الأصولي المشارك الضليع، هؤلاء الرجال العظام قد أفنوا أعمارهم في تحصيل العلم ونشره والرد على من خالفهم في الرأي بأسلوب علمي متين ومؤسس ، أما انا وانت فلا ترقى إسهاماتنا العلمية إلى مستوى أدنى تلميذ من تلامذة أولئك العلماء الفطاحل، بله ان تحوم حول كلام شيوخهم وتزعم نقده فهيهات هيهات !!

انصحك أخى الباحث بالتاني، وتجنب العجلة والانفعال، وعليك بتعلم أساليب وطرق الجدل والمناظرة والسلام.



الحمد لله و الصلاة و السلام على سيدنا رسول
الله و آله و صحبه و سلم.

توضيح هام :
بما أني الفقير، أشرت في مشاركتي أعلاه اني لم أقرأ الموضوع كاملاً، وبعد تعليق الشيخ علي الصوفي حفظه الله، والذي هو محل ثقة خاصة فيما يتعلق بمسائل التصوف، وبعد أن أعدت النظر مرة أخرى في محتوى المقال، بعد أن كنت فقط قرأت التمهيد توصلت إلى أن كلام الأخ علي الصوفي صحيح. وما رد به عليك ليس إلا ما كنت سأرد به لو قرأت المقال أو أمعنت فيه النظر. فالمقال يحتوي على كثير من المغالطات واللمز الذي لا يتسع وقت الفقير حالياً للرد عليها. غير اني آمل أن يجد الاخوة متسعاً من الوقت للقيام بهذه المهمة، كما آمل أن تستفيد مما يكتبه الإخوة، وتعطي نفسك فرصة لسماع النقد لعلك تكون على خطأ.
كما أرجو من بقية الاخوة أن يكون ردهم هادئاً وعلمياً. والله الهادي إلى سواء السبيل.



والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله وصحبه العبد الفقير، وإن كان ردّي على الأخ الدكتور عبد الله الشارف فيه نوع من الحدّة، فهي لا تعدو كونها غيرة على الطريق ان يكتب فيه من ليس من أهله، ثمّ يدّعي بعد ذلك انّه حذقه وله فيه تجربة طويلة. والحقيقة انّي وجدت الأمر على خلاف ذلك، فليس فقط بخصوص مقال الدكتور، وإنّما أيضا من خلال ما رأيته مسطورا من كلامه في موقعه الإلكتروني.

سأقوم إن شاء الله تعالى، بالردّ على ما كتبه الأخ الدكتور عبد الله الشارف، حتّى أبيّن له خطأه وتهافت ما كتبه، رغم انّ الخلاصة من كلامه معروفة، وهو عين ما ذهب إليه ابن تيمية رحمه الله تعالى، في جداله العقيم ضدّ العارفين من الصوفية من غير معرفة بمصطلحاتهم ولا ذوق، وهذا أمر أجمع عليه العارفون من انّ ابن تيمية الحراني رحمه الله خاض في علوم القوم من غير سلوك ولا ذوق، بل

ولا فهم[15]. ومن نظر في كتب الإمام الشعراني رضي الله عنه، وكذلك كبار المحدّثين كالحافظ بن حجر الهيثمي رحمه الله، وكذلك الإمام شيخ الإسلام تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى، وكلام ابن عطاء الله السكندري، علم انّ ابن تيمية لا يستدلّ بكلامه في مجال التصوّف جملة وتفصيلا. أمّا بالنسبة للعقائد والفقه فله مع علماء الشريعة المقدّسة حملات وصولات انتهت بسجنه ومحاكمته، والعبد الفقير لا أرضى ان أدخل في تلك النزاعات التي تكلّم فيها من هو أعلم منّا بكثير.

وأقول للأخ الدكتور بأنّ مقاله هذا غير موفّق ولا يتوافق مع عنوان الموضوع والسلام.

15- هذا الكلام يشتمل على عدة مغالطات:

أولا: نسبته الجهل بطريق القوم إلى ابن تيمية. وهذا يرد عليه فيه المنصفون من الصوفية، فإن ابن تيمية قد خبر التصوف وميز صحيحه من فاسده، وسمينه من غثه. فوصل إلى نتيجة لخصها في رسالة مشهورة تعرف ب: "رسالة الفقراء"، حيث جعل فيها الصوفية كسائر الناس من هذه الأمة؛ فيهم السابق بالخيرات، والمقتصد، والظالم لنفسه. وهذا غاية ما يكون الإنصاف. فإن كنت قد اطلعت على هذه الرسالة، وقلت ما قلت في هذا العالم الجليل، فإنك قشد غمطته وانتقصت من قدره. وإن كنت لم تقف عليها فحسبك ذلك. قال الشاعر:

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة×× وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم.

ثانيا: لا يعقل ان يشترط في ناقد منهج ما، ان يكون قد مارس ذلك المنهج، وبعبارة أخرى؛ إن ابن تيمية منطلقه دائرتان واسعتان معصومتان من الخطأ، ألا وهما: صحيح المنقول وصريح المعقول، وهما مرجع لجميع فرق المسلمين؛ صوفية كانوا أو غيرهم. وانت يا أخي علي الصوفي وشيوخك في التصوف، مرجعيتكم: كلام الصوفية. وهي في غالبيتها تنحو نحو الشطط، مع كونها مرجعية ضيقة. فشتان بين من مرجعيته واسعة ولها العصمةن ومن مرجعيته تلك.

ثالثا: إذا كان ابن تيمية موضوعه انتقاد غلاة الصوفية، فلا يعقل ان نشترط عليه ممارسته لما يراه ضلالان وهو في الواقع ضلال، كما يشهد بذلك كثير من الصوفية.

رابعا: إن الناقد إذا كان مرجعه الدليل، فإنه يستغني عن الذوق. للان الدليل معصوم، والذوق متهم؛ شفقد يكون هوى.



والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيّدنا محمّد وآله وصحبه.

يقول الأخ الدكتور : «لا شك ان القارئ الكريم قد فهم من خلال هذه النصوص جانبا مهما من جوانب العلاقة التي تربط المريد بشيخه الطرقي، والتي تبدأ بأصناف التأدب والاحترام، وتنتهي بالغيبة والفناء في صورة شيخه التي لا تفارق خياله طرفة عين، ومن هنا لا يعجب المرء إذا سمع بمريد يستغيث بشيخه ويستنجده وهو غائب عنه أو قد ارتحل إلى الآخرة».

قلت :

النصوص التي نقلها الأخ واقتبسها من كتب العارفين إنّما كتبها كي يستدلّ بها على فساد منهج الصوفية من حيث علاقة المريد مع شيخه، ولم يأت بها مستشهدا ومقرّا بها. بل أتى بها كي يردّ عليها، ولكنه جانب الصواب في قوله :»تبدأ بأصناف التأدب والاحترام، وتنتهي بالغيبة والفناء في صورة شيخه التي لا تفارق خياله طرفة عين، ومن هنا لا يعجب المرء إذا سمع بمريد يستغيث بشيخه ويستنجده

وهو غائب عنه أو قد ارتحل إلى الآخرة».[16]
فمن قال لك انّ كلّ قارئ يفهم منها ما ألمحت إليه؟ فلماذا لم تقل: هذا ما فهمته أنا من هذه النصوص. ولماذا نبت عن القارئ، ففهمت له وفكّرت له فسلبته عقلا منحه الله إيّاه،

16- لم أجانب الصواب، بل هذا أمر تشهد به تراجم الصوفية في جميع الطبقات. وطريقة هؤلاء الشيوخ المبتدعة كلها مبنية على هذا النوع من العلاقة بين الشيخ والمريد.
يقول عبد الوهاب الشعراني (القطب الرباني والغوث الصمداني):
...فإن لم يتيسر للمريد صلاة الجمعة عند أستاذه، فليتخيله عنده في أي مسجد صلى فيه(الانوار القدسية 1/188)
ويقول علي وفا: ...فكما ان الله تعالى لا يغفر ان يشرك به، فكذلك محبة الأشياخ لا تسامح ان يشرك بها(الانوار القدسية 1/187) .
وكان أيضاً يقول:
إذا صدق المريد مع شيخه وناداه من مسيرة ألف عام، أجابه حياً كان الشيخ أو ميتاً(الانوار القدسية1/189)...
وكان أيضاً يقول:
المريد الصادق مع شيخه كالميت مع مغسله، لا كلام ولا حركة، ولا يقدر ينطق بين يديه من هيبته، ولا يدخل ولا يخرج، ولا يخالط أحداً، ولا يشتغل بعلم ولا قرآن ولا ذكر إلا بإذنه(الانوار القدسية 1/189)...
ويقول إبراهيم الدسوقي (أحد الأقطاب الأربعة المدّركين):
...وكذلك ينبغي له (أي: للمريد) ان يحذر من تأويل كلام شيخه عن ظاهره إذا أمره بأمر، بل يبادر إلى فعل ذلك من غير تأويل(الانوار القدسية 2/97)
و يقول: ومن شانه (أي: المريد) إذا ذكر الله تعالى، أو فَعَل عبادة من العبادات، ان يستحضر نظر شيخه إليه، ليتأدب ويضم شتات قلبه(الانوار القدسية 2/98)
ويقول أحمد الرفاعي (الذي تسري كراماته في أتباعه من بعده!!):
...مَن لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان...وينبغي للمريد ان يعرف لشيخه الحق بعد وفاته كما كان يعرف له الحق في حالة حياته...وقال: من يذكر الله تعالى بلا شيخ، لا الله له حصل! ولا نبيه! ولا شيخه(قلادة الجواهر، (ص:177)!
ويقول ابن عجيبة:
للقوم في لقاء المشايخ آداب، منها: انهم إذا قربوا المنزل رفعوا أصواتهم بالهيللة والذكر، فلا يزالون كذلك حتى يصلوا إلى الزاوية...ومنها تقبيل يد الشيخ ثم رجله، إن جرت بذلك عادة الفقراء، فهو من أحسن التعظيم...ومنها جلوسهم بين يديه على نعت السكينة والوقار، خافضين أصواتهم، ناكسين رءوسهم، غاضين أبصارهم، فلا يكلمونه حتى يبدأهم بالكلام(الفتوحات الإلهية: (ص:308، 309)...
...فإن تعذر عليه (أي: على المريد) الوصول إلى الشيخ، وقد عرض له مرض أو أمر، فليشخص شيخه بين عينيه بصفته وهيأته ويشكو له، فإنه يبرأ بإذن الله، وإن كان مع جماعة واستحيا فليشتك إليه في قلبه(الفتوحات الإلهية، (ص:339). (؟؟ !!!).

أم انّك ظننت أنّ فهمك لتلك النصوص لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ...

ثمّ هناك خلط فادح لا يخفى عليك متى شرحناه لك. وذلك أنّ العلاقة بين المريد وشيخه ليس ما ذكرته، بل العلاقة حقيقة، وهذا الأصل وهو الأساس الذي غاب عنك، هي علاقة في الله تعالى باعتبار أنّ الشيخ موصل إلى الله تعالى، وشيخ تربية وترقية، خبر مراتب السلوك من بدايتها وإلى نهايتها، فصاحبه في طريق سيره كي يوصله إلى مولاه سبحانه وتعالى. فهذه هي الغاية الذاتية المقصودة من صحبة الأشياخ، وهذه أصل العلاقة. وإنّما الذي تكلّمت فيه بما أوردته من استنباط هي وسائل تؤدّي إلى الغاية التي أشرنا إليها، فهي وسائل لغيرها وليست وسائل لذاتها، إذ محال أن تتّخذ الوسائل غايات. وإنّك أهملت الجزء الأهمّ لفهم تلك العلاقة والتي سنكشف لك عن التدليس الواقع فيها، فإنّه خلط بين الحّق والباطل، فعليك ان تسأل هذا السؤال: هذه علاقة المريد مع شيخه، فكيف هي علاقة الشيخ مع المريد؟ فمتى فهمت هذا السؤال وحاولت ان تجيب عليه في قرارة نفسك، ستعلم وقتها حقيقة علاقة المريد مع الشيخ .

ثمّ ذكرت في تفصيلك لطبيعة تلك العلاقة، انّها مبنية على الاحترام والتقدير، وهذا الأمر صحيح وهو المطلوب وليس هذه مختصّا بشيوخ الصوفية، بل هو أمر إنساني عام فيه عموم وخصوص، وهو من طبيعة البشر قبل ان يكون توفية للأمر الإلهي باحترام وتقدير العلماء

والأولياء بل والوالدين وهكذا... فهذا الاحترام أمر شرعي دلّت عليه النصوص وقبلته الفطرة بلا نصّ، ثمّ جمعت الفطرة بينهما. فهذا أمر ظاهر نلحظه عند كلّ أحد، فما دخله كي تجعله سلّما إلى ما قلته في كلامك: «وتنتهي بالغيبة والفناء في صورة شيخه التي لا تفارق خياله طرفة عين». فما دخل الصورة هنا والغيبة فيها والفناء حتّى جعلتها من نتائج الاحترام والتقدير، فما دخل هذا في هذا، وإنّما لتصوّر وقع في الفكر حكمت أيّها الأخ بهذا فجانبت الصواب، فليس بالضرورة ان يكون الإحترام والتقدير سلّما إلى الغيبة والفناء في صورة الشيخ حتّى بنيت عليه الإستغاثة ...الخ. فهذا خلط ليس بتحقيق ولا حتّى استنباط يلحظ. والغالب انّ التصوّر هو الذي انتج هذا الحكم الخاطئ. ثمّ ما علاقة الإحترام والتقدير الذي أمره ظاهريا يشترك فيه جميع الناس، مع أمر آخر قرّره بعضهم من حيث حقيقة أخرى وفهم آخر وعلم آخر لا علاقة له بهذا، رغم انّ هذا الأمر الثاني أمره سلوكي ولا يقع في دائرة الآداب الشرعية العامّة من احترام وتقدير، وسنأتي على هذا ونفصّله، فليس بالضرورة كما قدّمت لك ان احترام التلميذ للشيخ سلّما عند الصوفية إلى الغيبة في صورة الشيخ إلى آخر الكلام الذي لا يقوم على معنى له شواهده، ولا فهم حقيقي يستفاد منه.

فهذا التنظير منك ما هو دليله؟ ومن قال به قبلك؟ وفي أيّ كتاب وجدته؟ وعلى أيّ أساس استنبطّه؟ وإنّما مجرّد التصوّر هو الذي دفع إلى هذا الحكم.

هذا ولا انسى في هذه المقدّمة ان أبشّرك بانّ العبد الفقير سيشرح لك تجربتك الصوفية التي زعمت، ويفصّلها لك ويبيّن لك ما انت الآن، أو كنت عليه من الفهم الخاطئ للتصوّف جملة وتفصيلا، وسأطالبك في أسئلة أسوقها إن شاء الله إليك، بالجواب عليها حتّى تتبيّن يقينا بانّ فهمك للتصوّف خاطئ لا يقوم على أساس. فهذه مقدمة. يتبع...

***

علي الصوفي

بسم الله الرحمن الرحيم

مشاركتك التي كتبتها في الحقيقة لا ترتقي إلى مستوى الردّ عليها هذه الحقيقة التي لو بحثت عنها لوجدتها. هذا ولتعلم انّني ما رددت عليك حتّى قمت بزيارة موقعك وقرأت تجربتك الصوفية وأبحاثك في التصوّف بحسب زعمك، والعبد الضعيف لا يضعها في خانة التجربة الصوفية بقدر ما يضعها في خانة التجربة النفسية في البحث عن الروحانية، ولهذا علّقت بما علّقت به، وأدنى قول لي إليك: انت يا أخي لا علم لك بالتصوّف، ولحدّ الآن لا أظنّك تفهمه، فمن قرأ تجربتك فيه جزم بذلك حتما، وأغلب كلامك فيه لا يدلّ من قريب أو بعيد على معرفتك به، بل انت واهم جدّا فيما تقول، وليس لك أدلّة عليه، شانك شان الوهابية الذين تتلمذوا على تلك الكتب المعروفة، التي هي أدنى مستوى من ان يردّ عليها بخصوص التصوّف، ككتب ابن تيمية ومباحثه في التصوّف، فهي والله أدنى من ان يردّ عليها، وكذلك فيما ذكره الشوكاني وغيره ممّا خالفوا فيه جمهور العلماء وأعاود الكلام إليك :

إذا ما لم تستطع شيئا فدعه

وجاوزه إلى ما تستطيع.



أخي الباحث علي الصوفي:

قولك؛ انت يا أخي لا علم لك بالتصوف، قول يقوله كل الصوفية عندما يردون على مخالفيهم ، إذ كل من يعترض على التصوف وينتقده مهما بلغ علمه كابن تيمية، يعتبر عند الصوفية جاهلا بالتصوف ، وكذلك الذين تركوا التصوف من العلماء أمثال تقي الدين الهلالي وغيره، كل هؤلاء لم يشموا رائحة التصوف. ولو انهم ظلوا متصوفة لكانوا علماء بالتصوف. إن أبا حامد الغزالي رحمه الله الذي كتب كتابه الفذ في نقد الفلسفة: «تهافت الفلاسفة»، اعتبره الفيلسوف ابن رشد الاندلسي جاهلا بالفلسفة، ورد عليه في كتابه «تهافت التهافت» . والخلاصة انك إذا كنت صوفيا أو مدافعا عن التصوف، فانت على علم بالتصوف، أما إذا لم تكن صوفيا أو كنت من خصومه ومنتقديه، فانت جاهل بموضوعه.... هذا النوع من الاستنتاج لا ولن يرقي بطبيعة الحال إلى مستوى الردود العلمية.

وإذا ما لم تستطع شيئا فدعه

وجاوزه إلى ما تستطيع.



أخي الباحث علي الصوفي: السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد، أقول وأكرر: «لا شك ان القارئ الكريم قد فهم من خلال هذه النصوص جانبا مهما من جوانب العلاقة التي تربط المريد بشيخه الطرقي، والتي تبدأ بأصناف التأدب والاحترام وتنتهي بالغيبة والفناء في صورة شيخه التي لا تفارق خياله طرفة عين، ومن هنا لا يعجب المرء إذا سمع بمريد يستغيث بشيخه ويستنجده وهو غائب عنه أو قد ارتحل إلى الآخرة ». نعم إن المريد عندما يتفانى في حبه لشيخه، ويحتفظ بصورته في ذهنه ليل نهار ، يقظان أو نائما، ويبالغ في الإعجاب به، قد يفنى عن وجوده وينصهر معنويا في ذات شيخه. وبالمناسبة أسوق قصة واقعية متعلقة بالموضوع: في نهاية التسعينيات من القرن الماضي الميلادي، حضرت مناقشة رسالة جامعية لأحد الأساتذة الزملاء في كلية الآداب بتطوان / المغرب، وكان موضوعها حول: «الجوانب النفسية والروحية في فكر أبي حامد الغزالي»، وبينما الأستاذ بصدد تقديم رسالته والحديث عن موضوعها، إذ صرح بانه لم يكن يستطيع إنجاز عمله العلمي لولا إلهامات شيخه، ومن بين

ما قاله في هذه المناسبة: «وينبغي على المريد ان يستحضر شيخه في صلاته»!!!.

هذا الكلام الذي استغرب منه أعضاء اللجنة وجمهور الحاضرين، سمعته بأذني، لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم لا تطمس بصيرتنا، ولن أسمي الأستاذ المذكور، وهو معروف في الأوساط الصوفية الطرقية بالمغرب، وله كتابات في التصوف...

***



قال الأخ الدكتور عبد الله الشارف : «ومما له علاقة بأسلوب التلقي المشار إليه، ما يتلقاه المريد عن شيخه من الأوراد التي بواسطتها يتقوى قلبه وتصبو نفسه نحو الترقي في الأحوال والمقامات، بيد ان هذا الترقي كثيرا ما يؤدي بصاحبه إلى الوقوع في الجذب أو الفناء، مما قد يدفع به إلى العزلة التامة عن المجتمع، وهذا ما لا يحصل للمسلم الذي يذكر الله كما أمر، وكما بين نبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه، في سنته المطهرة».

قلت :

ما نقلت الكلام الذي سبق هذا الكلام، لانّه لا معنى له، وليس عليه دليل فهو إنشاء، أمّا هذا القول ففيه خلط سأبيّنه :

الخلط الأوّل: انّه جعل الشيخ المربّي الذي يسمّيه أخونا عبد الله الشارف الشيخ الطرقي، هو المقصود لدى المريد من حيث إرادة وجه الشيخ والفناء في صورته، وعليه تنبني الغيبة فيه وإشغال الفكر وجولان العقل في صورته، حتّى يحدث الفناء فيه بدليل ما ذكره في علاقة المريد مع شيخه المربّي، وذكر الأوراد من حيث هذا الوجه وهذا المنطلق، وذلك انّ الأوراد بزعمه التي يلقّنها الشيخ ويعطيها للمريد ويعاهده

على عدم تركها، هي في المقام الأوّل تدلّ على ذلك الشيخ الذي لقّنها ولا تدلّ، بحسب ما زعمه، على الله تعالى، ودليل هذا ما ذكره فيما شرحته بالأمس من كلامه. ثمّ تناقض في كلامه فأوضح فقال بانّ الأوراد يتقوّى بها المريد نحو الترقي في المقامات والأحوال. ولا أدري ما مقصوده بكلمة الأحوال والمقامات، أهي مقامات وأحوال الفناء في صورة الشيخ كما زعم في المقدّمة، وذلك يؤدّي كما زعم إلى الشرك بالله في كون تلك الأحوال والمقامات والتي هي القصد نحو الفناء في صورة الشيخ وفي شخصه وذاتيته، ممّا يستوجب تأليهه فتكون الاستغاثة به ودعائه من دون الله تعالى.

فعلى هذا بنى الأخ الدكتور عبد الله الشارف حكمه لوجود هذا التصوّر في فكره، ثمّ زاد توضيحا فقال: بيد ان هذا الترقي كثيرا ما يؤدّي بصاحبه إلى الوقوع في الجذب والفناء، فهو يذكر في البداية انّ هذا التقوّي بالأوراد يصبو قلب الإنسان به إلى الترقي في الأحوال والمقامات، فبدأ هنا بذكر العلل النفسية وانّ الفقراء والمريدين قصدهم من تلك الأذكار والأوراد تقوية قلوبهم نحو نوال الأحوال والمقامات، رغم انّي ما سمعت أحدا من العلماء والأولياء المعتبرين يقول بمثل هذا القول، بل قالوا بانّ نتيجة الذكر بالأوراد ينتج ثمرة الأحوال والمقامات السلوكية، وهو المعبّر

عنه عند القوم من أهل الله تعالى بالتخلية والتحلية، فهي نتيجة ضرورية وليست نتيجة مقصودة بداية، ولكن لا أظنّ بانّ ما يفهمه الأخ عبد الله الشارف من تعريف الأحوال والمقامات هو نفس فهم العلماء والأولياء له، وهذه التعريفات قال بها حتّى ابن تيمية رحمه الله نفسه فضلا عن تلميذه ابن القيم رحمه الله تعالى وخاصّة في كتابه مدارج السالكين، فقد أوضح هذه التعريفات في مدارج السالكين بما قال به الصوفية رضي الله عنهم. ثمّ الزعم منه انّ هذا الترقّي كثيرا ما يؤدّي بصاحبه إلى الوقوع في الجذب والفناء، فلا أدري ما قصده وتعريفه للجذب والفناء، أهو الفناء في صورة الشيخ وشخصه أم هو الفناء في محبّة الله تعالى؟ وكذلك في الأحوال والمقامات؟

الخلط الثاني:

انّه جعل تلك الأوراد التي يأخذها المريد عن شيخه المربي، خارجة عن منهاج السنّة المطهّرة وانّها من هوى النفس[17]،

17 - هذه بعض النصوص الدالة على بدعية وفساد الأوراد الصوفية:ورد الطريقة القادرية المباركة اليومية

وهو من أجل الأوراد قدراً وأوفرها ذخراً وأعلاها ذكراً ، وهو يغني عن جميع الأوراد ولا يُغني عنهُ ورد ، ومن أجّل فوائدهُ ان صاحبهُ لا يموت إلا على حسن الخاتمة ، وكفى بها مزيّة، وحدثني من أثق به انهُ من أسباب الغنى ، وهو ان تقول دُبر كُل صلاة مكتوبة :

- حسبُنا الله ونعم الوكيل (مائتي مرة) .
- أستغفر الله العظيم (مائتي مرة) .
- لا إله إلا الله الملك الحق المبين (مائتي مرة) .
- اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (مائتي مرة) .

وتزيد بعد الفجر والمغرب

- لا إله إلا انت سبحانك إني كنت من الظالمين (سبعاً) .
- اللهم يا لطيف أسألك اللطف فيما جرت به المقادير (سبعاً) .
- اللهم يا واحد يا أحد يا موجود يا جواد انفحني بنفحة خير منك تغنيني بها عمن

رغم انّ هذا القول ما قال به أحد قبله فحتّى الـذي قـال بذلك ردّت عليه أقوالـه بنصوص ثابتة الـدلالـة، ولـو رجـع إلـى مراجعة كتب أهـل الشريعة فضلا عن أهل الحقيقة، لوجد أورادا وأحزابا ألّفها

سواك (سبعاً) .
· اللهم بارك لي في الموت وفيما بعد الموت (أربعاً وعشرون) .
· اللهم صلي على سيدنا محمد وارضىَ على روح غوث الثقلين سيدي الشيخ عبد القادر الجيلي وارضىَ عن شيخي وعن أشياخي أولهم وأخرهم واجزهم عني خيرا (ثلاث مرات) .
الورد الكيماوي في الطريقة القادرية العلية
عن سيدي الشيخ نور الدين البريفكاني قدس سره
تتلو بعد الصبح يا حليم ألف مرة ، وبعد الضحى يا رحيم ألف مرة ، وبعد الظهر يا رؤوف ألف مرة ، وبعد العصر يا غفار ألفا ، وبعد المغرب يا ستار ألفا وبعد العشاء : يا الله ألفا وخمسمائة مرة ، وبعد التهجد : استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه مائة مرة ، فهذه هي طريقة الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره. هذا مما جاء في موقع الإلكتروني للطريقة القادرية.
وجاء في ورد الجلالة المنسوب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني ما نصه: «وأسألك الوصول بالسر الذي تدهش منه العقول، فهو من قربة ذاهل، ايتنوخ، يا ملوخ، باي، وامن أي وامن، مهباش الذي له ملك السموات والأرض» ثم يستطرد قائلا: «طهفلوش انقطع الرجاء إلا منك، وسدت الطرق إلا إليك، وخابت الآمال إلا فيك».
ومن أوراد الصوفيه أيضا التي بها إلحاد في أسماء الله ما جاء في كتاب ذكر ودعاء جمعه عبد الله أحمد أبو زينة، جاء فيه: «يا باسط، يا غني بمهبوب ذي لطف خفي بصعصع بسهسهوب ذي العهز الشامخ، الذي له العظمة والكبرياء، بطهطهوب لهوب ذي القدرة والبرهان والعظمة والسلطان» ثم يقول: «بحق سورة الواقعة، وبحق فقج مخمت مفتاح جبار فرد معطي خير الرازقين».
ويقول إبراهيم الدسوقي في ورده المسمى بـ«الحزب الكبير»: «اللهم آمني من كل خوف، وهم وغم، وكرب كدكد كردد كردد كردد كرده كرده كرد ده ده ده ده الله رب العزة».
فإن: ايتنوخ، وملوخ، ومهباش، وطهفلوش، وفقج، ومخمت، وغيرها من الأسماء هي أسماء لله عز وجل عند بعض الصوفية، وهو بهتان وظلم كبير، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.
ومن الأوراد الشاذلية (وغيرهم يستعملها) قولهم: «وزج بي في بحار الأحدية وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة، حتى لا أرى ولا أسمع ولا أحس الا بها».
ومـن ضـلالات المتصوفة انهم يقولون: إن الذكر إذا أخذ بالإذن من الشيخ يكون أجـره أعظم، وإذا لم يؤخذ الإذن من الشيخ يكون أجره أقل.
فمن ذلك قول التجانيين عن شيخهم - بزعمهم -: إن صلاة الفاتح لما أغلق إذا أخذت بالإذن من الشيخ أو ممن أذن له الشيخ؛ تعدل ستة آلاف ختمة من القرآن، وإذا ذكرت بغير إذن؛ فهي كسائر الصلوات، لا فضل لها على غيرها!
فإذا انكر الموحدون أوراد شيوخ التصوف؛ فإنما انكروا البدع المحدثة، فمتى أعطى

العلماء كالمحدّثين والفقهاء، كما في حزب النووي رحمه الله تعالى، وغيره كثير، وهذا غير خاف على أحد .وهذه المباحث مجالها الحكم الشرعي؛ من إباحة أوكراهة أو تحريم أوخلاف الأولى، فلا تدخل فيها مجالات العقيدة بحال. ومباحثها مفصّلة في كتب المحّدثين والعلماء. ومن أراد الاسترشاد رجع إلى تقاريرهم وفتاويهم، والاستدلال عليها من السنّة ومن أفعال السلف. وهذا لا ينكره أحد بل حتّى ابن تيمية فعله. فهي تدخل كلّها في جوانب الدعاء. والخلط هنا وقع في نسبة بدعية الأوراد، ثمّ جعلها تقوية لقلب المريد لنوال الأحوال والمقامات. لذا طالبته بشرح معنى الحال ومعنى المقام من كلام ابن تيمية وابن القيّم خاصّة، وكيف تنتج أذكارا بدعية أحوالا ومقامات وجذب وفناء. ثمّ هل أذكار السنّة المطهّرة والتي هي العمدة عند أهل التصوّف رضي الله عنهم تقوّي القلوب أم لا ؟ وهل ينال بالمداومة عليها الأحوال والمقامات والجذب والفناء أم لا ؟

أبو بكر الصديق ورداً؟! ومتى أعطى عمر ورداً؟! وكذلك يقال في عثمان وعلي وسائر الصحابة؟! وهل كانت في الصحابة طرق: طريقة بكرية، وطريقة عمرية، وطريقة عثمانية، وطريقة علوية، وطريقة جابرية، وطريقة مسعودية؟! سبحانك هذا بهتان عظيم.

إن لكل شيخ طريقة دعاء خاص، يسمى بحزب فلان أو ورده، فأتباع ذلك الشيخ يحافظون عليه قراءة وتبركا وتقديسا أشد من محافظتهم على القرآن الكريم، وهذا ليس مبالغة بل هو الواقع المرير. فقد ألزموا انفسهم أو ألزموا ان يقرءوا لكل يوم حزبا معينا، فإذا فات يجب ان يقضي. وكل أهل طريقة يرون ان حزبهم أفضل من الأحزاب الأخرى، بل جاوز بعضهم هذا إلى ان فضل حزبه المخترع على القرآن الكريم بستة آلاف مرة، فقد ادعى التيجاني الكذاب الدجال انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن فضل صلاة الفاتح، فأخبرني أولاً بان المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانياً بان المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير، ومن القرآن ستة آلاف مرة؛ لانه من الأذكار. كما ان التيجانيين يعتقدون انها من كلام الله تعالى، وانها وردت من الحضرة القدسية مكتوبة بقلم القدرة في صحيفة نورانية، وانها لم تكن من تأليف أحد من البشر، وإنما هي من كلام الله تعالى كالأحاديث القدسية.

والنتيجة المستخلصة :

ان الأخ عبد الله الشارف: لا يفهم ولا يعرف التفريق بين صفات الشيوخ، فجعل شيخ العلم هونفسه شيخ التربية. وقد استدلّ في هذا المضمار بما لا يستدلّ به فقد أخلّ بقواعد الاستدلال في هذا التصوّر، رغم انّ الأمّة جمعاء أقرّت منذ عصر رسول الله عليه الصلاة والسلام، الفرق بين شيخ التعليم وبين الشيخ المربي[18]. وقد يكون شيخ التعليم هو نفسه الشيخ المربي، وقد لا يكون. وكذلك قد يكون شيخ التربية ليس هو شيخ التعليم، وإنّما الخلط في عدم فهم التصوّف وصفات المشائخ والعلوم الإسلامية، من حيث أركان الدين ومدارسها في مجملها، فتصوّر تلك التصوّرات، فقعّد لها ما كتبه. وهذا يرجع بحسب رأيي لسبب ما أخبر الأخ عبد الله عنه في تجربته الصوفية، التي أوضحها في مقال آخر، والتي أودت به إلى تلك النتيجة من حيث انّه أراد سلوك الطريق لنوال ما كان يصدّقه من كلام الأولياء، ولكن من غير شيخ تربية ولا دليل ولا إرشاد، فظنّ انّ التصوّف يباع ويشترى في الأسواق، وهو تجارب ميدانية كالتجارب العلمية والحسابية، وانّ كلّهم قادرون على ذلك، والعيب الذي أراه عند إخواننا الوهابية انّهم ظنّوا الدين الإسلامي علما كأي علم؛ فيه حسابات وتصوّرات ورأي ونتائج منطقية، كما في كتاب الشيخ النجدي، «كشف الشبهات»، فكان يقول فيه: إذا قال

18 – من هم الصحابة الذين عرفوا بشيوخ التعليم أو شيوخ التربية ؟

لك المشرك كذا، فقل له: كذا، وإذا قال لك المشرك كذا فقل له، كذا، كفي مادّة الرياضيات؛ واحد مع واحد يساوي اثنين، بلا روح ولا فهم ولا قلب، ولا علم ولا كتاب منير. أعاذنا الله منهم ومن شرّهم بحرمة الحبيب وآله.

قال الأخ الدكتور عبد الله الشارف: وهذا ما لا يحصل للمسلم الذي يذكر الله كما أمر، وكما بين نبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه، في سنته المطهرة.

قلت: يوضّح هنا الأخ عبد الله انّ من ذكر الله تعالى بما أمر به، لا يحصل له ترقّي في الأحوال والمقامات، ولا جذب ولا فناء، وبحسب رأيي دليله في ذلك انّه وممّن كان في نفس مستواه،؛الوهابية، ذكروا بما ورد في القرآن والسنّة بحسب زعمهم، ولكنّهم ما حصل لهم جذب ولا فناء، ولا ترقّي في الحال والمقام. فهذا أكبر دليل انّ ما يقوله الصوفية أو ما يجدونه هو من هوى النفس ومن الشركيات والبدعيات، ومن جرّاء عبادة الشيوخ وتأليههم، رغم انّ شيخه ابن تيمية ومن جرى في فلكه، لا يقول بما توصّل إليه الأخ عبد الله الشارف، بل من قرأ في جزء التصوّف في الفتاوى الكبرى لابن تيمية، وفي كتب ابن القيّم لا سيّما كتابه مدارج السالكين، سيخالف ما ذهب إليه الأخ عبد الله، لذا نصحته العبد الضعيف بقولي: إذا لم تستطع شيئا -- فجاوزه إلى ما تستطيع. وهذه العبارة النصحية، يتداولها العلماء والأولياء من قديم الزمان، فحتّى ابن القيّم ذكرها في كتابه مدارج السالكين . فقوله: انّ من ذكر بما

ورد في النصوص الشرعية لا يحصل لـه.... هذا مردود عليه، ولا يمكنه ان يستدلّ عليه بل لقد قال بالحال والمقام والجذب والفناء ابن تيمية ومدرسته،[19] رغم انّ ابن تيمية لا يجوز قطعا ان يستدل بكلامه في مجال التصوّف لخلطه الكبير، وهذا ليس قولي لوحدي، بل قال به كبار العلماء في مختلف العصور . أقول: فهم الأخ عبد الله للتصوّف فهم قاصر لا يرتقي إلى مستوى الردّ عليه، لانّه ذهب مذهبا بعيدا ما قال به أحد، وسنأتي عليه. وإنّما تصدّرت للردّ عليه رغم انّ هذه أيّام نهاية رمضان والأجر فيها مضاعف، إلاّ انّ خوفي على العوام، ومن ليس له خلفية علمية دينية صلبة ان يغترّ بذاك الكلام.

وإلى حدّ الآن ما كتبت حقيقة الردّ عليه حتّى أبيّن له قبل غيره انّه فعلا جاهل بالتصوّف، وانّ تجربته الصوفية غير صحيحة وباطلة، وما نتج عنها من تصوّرات أيضا باطل لا يعتدّ به، وأريد من الأخ عبد الله ان يقول لنا أين درس علوم الدين الأكاديمية، وما هي اجازاته فيها ومن مشايخه، فإنّ صفة الدكتورية عليه قد تكون في غير مجال الدين، ونحن لا ننكرها أونسلبها منه، ولكن قد يكون رغم تلك الصفة عاميّا في علوم الديانة، بما فيها التصوّف.

أرجو من الأخ عبد الله ان لا ينفعل ويتركني أكمل ردّي عليه ثمّ يعترض متى شاء وأرجو ان يتّسع صدره.

---

19 - نعم لقد قال ابن تيمية وتلميذه ابن القيم بذلك، لكن في سياق النقد والرد، وليس في سياق من يعتقد ذلك.

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الباحث أبو علي الصوفي:
الجواب على ما سميته: «**الخلط الأول**»
نعم كون الشيخ المربي يرادف الشيخ الطرقي، هذا مما لا غبار عليه. لان الصوفية مرت في تاريخها بثلاث مراحل:
المرحلة الأولى: كانت أقرب إلى حقيقة الإسلام ومعانيه من زهد وإخلاص وصدق... وكان شيوخ التربية آنذاك يجتهدون في التحلي بروح السنة النبوية، ولذا لم يكونوا هدفا من أهداف الفقهاء والعلماء، بل كانوا محل تقدير وثناء واحترام.
المرحلة الثانية: هي المرحلة التي امتزج فيها التصوف واختلط بالفلسفة: الحكيم الترمذي، الحلاج، ابن عربي، ابن سبعين، السهروردي، حيث ظهرت مفاهيم صوفية فلسفية مثل الحلول كقول **الحلاج**:

انا من أهوى ومن أهوى نحن روحان حللنا بدنا !!

أو وحدة الوجود كقول **ابن عربي**:

يعبدني وأعبده ويحمدني وأحمده !!

ومعظم الشيوخ المربين في هذه المرحلة، كانوا متأثرين بهذه

المفاهيم ذات أصول فلسفية يونانية أو هندية أو فارسية.
المرحلة الثالثة: وهي المرحلة الطرقية، والتي نعيش الآن أسوأ زمانها الظلامي: حيث تقديس الشيوخ أحياء أو أمواتا، وممارسة السلوكات الشاذة باسم العبادة والتقرب والترقي: رقص وشطح وخرافات، ومنامات ورؤى وهلوسات، وهلم جرا.
فالشيخ المربي في هذه المرحلة هو الشيخ الطرقي.
ولا أعرف الآن شيخا صوفيا مربيا غير طرقي.
أما قولك: «ثمّ تناقض في كلامه فأوضح فقال: بانّ الأوراد يتقوّى بها المريد نحوالترقي في المقامات والأحوال، ولا أدري ما مقصوده بكلمة الأحوال والمقامات؟ أهي مقامات وأحوال الفناء في صورة الشيخ كما زعم في المقدّمة؟، وذلك يؤدّي كما زعم إلى الشرك بالله، في كون تلك الأحوال والمقامات والتي هي القصد نحو الفناء في صورة الشيخ وفي شخصه وذاتيته ممّا يستوجب تأليهه، فتكون الإستغاثة به ودعائه من دون الله تعالى، فعلى هذا بنى الأخ الدكتور عبد الله الشارف حكمه لوجود هذا التصوّر في فكره، ثمّ زاد توضيحا فقال: بيد ان هذا الترقي كثيرا ما يؤدّي بصاحبه إلى الوقوع في الجذب والفناء، فهو يذكر في البداية، انّ هذا التقوّي بالأوراد يصبو قلب الإنسان فيه إلى الترقي في الأحوال والمقامات. فبدأ هنا بذكر العلل النفسية وانّ الفقراء والمريدين قصدهم من تلك الأذكار والأوراد تقوية قلوبهم نحو نوال الأحوال والمقامات، رغم انّي ما

سمعت بأحد من العلماء والأولياء المعتبرين يقول بمثل هذا القول، بل قالوا بانّ نتيجة الذكر بالأوراد، ينتج ثمرة الأحوال والمقامات السلوكية وهو المعبّر عنه عند القوم من أهل الله تعالى؛ بالتخلية والتحلية، فهي نتيجة ضرورية وليست نتيجة مقصودة بداية. ولكن لا أظنّ بانّ ما يفهمه الأخ عبد الله الشارف من تعريف الأحوال والمقامات، هونفس فهم العلماء والأولياء له. وهذه التعريفات قال بها حتّى ابن تيمية رحمه الله نفسه فضلا عن تلميذه ابن القيم رحمه الله تعالى وخاصّة في كتابه؛

«**مدارج السالكين**». فقد أوضح هذه التعريفات في مدارج السالكين بما قال به الصوفية رضي الله عنهم. ثمّ الزعم منه انّ هذا الترقّي كثيرا ما يؤدّي بصاحبه إلى الوقوع في الجذب والفناء. فلا أدري ما قصده وتعريفه للجذب والفناء أهوالفناء في صورة الشيخ وشخصه ؟ أم هوالفناء في محبّة الله تعالى، وكذلك في الأحوال والمقامات؟

فلا تناقض هناك، ذلك ان المريد في البداية عندما يرتبط بشيخه المربي الطرقي، ويشرع في ممارسة أوراده، فإنه بذلك يتقوى نحو الترقي في المقامات والأحوال، لكنه لغلبة شخصية الشيخ من جهة، وغلبة الوساوس والخواطر النفسية من جهة ثانية، تطغى صورة الشيخ ويتركز حضورها في باطنه، فتنتكس بتلك الوساوس معاني الأحوال والمقامات في وعيه، ثم تصبح تلك الأحوال والمقامات غايات في ذاتها، بعد ان كانت في البداية وسائل. ولذا تجد في كتب الصوفية نصائح موجهة إلى المريدين من بينها عدم الوقوف مع الأحوال والمقامات.

أما الأحوال والمقامات التي كان عليها الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والتي تحدث عنها ابن تيمية وتلميذه العالم النحرير ابن القيم رحمهما الله، فكانت أحوالا ومقامات صحيحة وسنية لانها ترتوي من النبع النبوي الصافي.
لكن عندما ظهر الشيوخ المربون المتفلسفة أو الطرقيون، لم يبق من المقامات والأحوال إلا الإسم !!
الجواب على ما سميته: **الخلط الثاني:**
قولك: «إنّه جعل تلك الأوراد التي يأخذها المريد عن شيخه المربي خارجة عن منهاج السنّة المطهّرة وانّها من هوى النفس، رغم انّ هذا القول ما قال به أحد قبله، فحتّى الذي قال بذلك ردّت عليه أقواله بنصوص ثابتة الدلالة. ولو رجع إلى مراجعة كتب أهل الشريعة فضلا عن أهل الحقيقة، لوجد أورادا وأحزابا ألّفها العلماء كالمحدّثين والفقهاء، كما في حزب النووي رحمه الله تعالى، وغيره كثير. وهذا غير خافي على أحد، وهذه المباحث مجالها الحكم الشرعي من إباحة أوكراهة أو تحريم أوخلاف الأولى، فلا تدخل فيها مجالات العقيدة بحال، ومباحثها مفصّلة في كتب المحدّثين والعلماء. ومن أراد الإسترشاد رجع إلى تقاريرهم وفتاويهم والإستدلال عليها من السنّة ومن أفعال السلف. وهذا لا ينكره أحد بل حتّى ابن تيمية فعله. فهي تدخل كلّها في جوانب الدعاء، والخلط هنا وقع في نسبة بدعية الأوراد ثمّ جعلها

تقوية لقلب المريد لنوال الأحوال والمقامات لذا طالبته بشرح معنى الحال ومعنى المقام من كلام ابن تيمية وابن القيّم خاصّة، وكيف تنتج أذكارا بدعية أحوالا ومقامات وجذب وفناء. ثمّ هل أذكار السنّة المطهّرة والتي هي العمدة عند أهل التصوّف رضي الله عنهم، تقوّي القلوب أم لا؟ وهل ينال بالمداومة عليها الأحوال والمقامات والجذب والفناء أم لا؟

أقول: إن تلك الأوراد التي يضعها الشيوخ الطرقيون لمريديهم، أذكار بدعية مثل: ذكر الله باسمه المفرد: الله، الله، الله...وهذا لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يفعله الصحابة والتابعون، أو ذكر الله بصيغة: هو، هو، هو.... كذلك ما يفعله أولئك الشيوخ بمريديهم؛ حيث يملؤون جل أوقاتهم بالأوراد والأذكار والأدعية البدعية، فنجد المريد مثلا يكرر صيغة من صيغ الذكر، مآت أو آلاف المرات فيشغل بعدها وحسابها !! ومن هنا فإن الأذكار والأدعية البدعية شكلا ومضمونا هي المعتمدة عند أهل التصوف الطرقيين...

الجواب على «النتيجة المستخلصة»:

أقول باختصار: إن العبد المؤمن الذي يذكر الله كما أمر ملتزما بصيغ وألفاظ الذكر الثابتة في السنة الصحيحة، يحصل له من الأحوال والمقامات ما شاء الله سبحانه، ولكن إذا ما حصل له جذب أو فناء فإنهما لا يخرجانه عن الجادة، ولا يوقعانه في الشطح أو الرقص، كما لايقذفان به في الأوهام والخيالات

الفاسدة، ولا يفنى بهما في نفس شخص آخر كما يحصل للمبتدعة.

وإذا ما لم تستطع شيئا فدعه

وجاوزه إلى ما تستطيع.

علي الصوفي

الحمد لله:

لقد سألتك يا دكتور تتركني أكمل نقض كلامك في مقالتك، ومن ثمّ تردّ متى شئت عليّ حتّى لا يتشتّت الفكر ويضيع المجهود، فمن عادة العبد الفقير لا ينتقل من موضوع إلى موضوع آخر، أو من ردّ إلى ردّ آخر يخرج عن سياقه، إلاّ بعد ان يستوفي المسألة أو الموضوع كاملا كي لا يضيع مجهود الطرفين.

انت كتبت كامل المقالة فقراناها كاملة، فكان من الضروري ان تتركني أردّ عليها كاملة ثمّ تردّ انت متى شئت، كما طلبت منك ان يتّسع صدرك لما أكتبه.

أمّا ردّك اليوم فالحمد لله، فقد لاحظت فيه تغيّرا ورجوعا إلى الجادّة المستقيمة، وذلك انّك أثبتّ اليوم انّ أذكار الكتاب والسنّة تثمر الأحوال والمقامات، بعد ان قلت أخي في مقالتك الأولى انّ أذكار الكتاب والسنّة لا تورث حالا ولا مقاما، فالحمد لله على الرجوع. ثمّ ذكرت أيضا انّها قد تؤدّي بعد الحال والمقام إلى الجذب والفناء، لكن من غير خروج عن الكتاب والسنّة، وقد طلبت منك ان تعرّف لي معنى الحال والمقام عندك، وهل تفسيرك له يتوافق مع

تفسير ابن تيمية وابن القيم أم لا ؟
ثمّ انت تقول بانّه لا وجود لمشايخ التربية اليوم، بل هم شيوخ طرق وليس تربية. والسؤال هل يمكن ان تذكر لنا متى كانت حقبة وجود مشائخ التربية وما تعريف هذا المصطلح وما هو دليلك عليه ؟
والسؤال الآخر: ما هو دليلك على انّ الشيخ الطرقي ليس هوشيخ التربية، ومن قال بذلك من العلماء؟ وهل الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى شيخ طرقي أو شيخ تربية، وكذلك الشيخ عبد القادر الجيلاني، وكذلك أسألك عن ابن عبّاد النفزي رحمه الله، هل هو شيخ تربية أو شيخ طرقي، ثمّ أسانيد جميع الصوفية ومشايخها هل هم مشايخ طرق أم مشايخ تربية ؟؟؟
ثمّ لماذا لم تجبني على سؤالي: هل وافقت أو خالفت ابن تيمية وابن القيم من حيث تعريف التصوّف؟ والمشايخ؟ فأجبني ولا تذكر كلاما عامّا، أدخل في التفصيل.
سأعود إلى الردّ على بقية المقالة، هذا وقد استفسر بعض اخواننا هنا من السادة الأعضاء عن سبب حدّة العبد الضعيف في ردّه على الأخ الدكتور عبد الله الشارف، والذي يجب ان يعلم انّ مقالة الأخ لو كنت مشرفا لحذفتها من يومها، لما فيها من الباطل والتدليس، وسوء الفهم وسوء الظنّ والتصوّرات الخاطئة.

والسلام.

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي علي الصوفي الباحث، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته:

بادئ ذي بدء أهنئك بعيد الفطر المبارك وأقول لك: لقد فهمت من كلامك»:أما الأحوال... اني رجعت إلى إلى الجادة وذلك انني أثبت اليوم ان أذكار الكتاب والسنة تثمر الأحوال والمقامات، بعد ان قلت في مقالي الأول؛ إنها لا تورث حالا ولا مقالا .....»، انني تراجعت عما نفيته وعدت إلى الجادة والطريق المستقيم.... ذلك فهم خاطئ، لان كلامي المسطر في المقال: «ومما له علاقة بأسلوب التلقي المشار إليه، ما يتلقاه المريد عن شيخه من الأوراد التي بواسطتها يتقوى قلبه وتصبو نفسه نحو الترقي في الأحوال والمقامات، بيد ان هذا الترقي كثيرا ما يؤدي بصاحبه إلى الوقوع في الجذب أو الفناء، مما قد يدفع به إلى العزلة التامة عن المجتمع، وهذا ما لا يحصل للمسلم الذي يذكر الله كما أمر، وكما بين نبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه في سنته المطهرة»، لا يفيد ما ذهب إليه فهمك، وإنما المقصود منه ان الترقي في الأحوال والمقامات عندما يكون مرتبطا ومستندا إلى الفكر الطرقي المنحرف، وكل الطرق الصوفية لا تخلو من انحرافات خطيرة، فإن ذلك لا يثمر إلا

الجذب المنحرف والفناء الفاسد. ولذا قلت وهذا ما لا يحصل للمسلم الذي يذكر الله كما أمر. معنى ذلك ان المسلم الذاكر المستقيم، الذي ينهل من السنة النبوية الصحيحة، والذي يجتنب البدع والطرق الصوفية، يحصل له الترقي في الأحوال والمقامات السنية الصافية. والخلاصة اني لم أكن متناقضا في كلامي، ولم أرجع فيه إلى الجادة كما زعمت، وإنما فهمك كان قاصرا، ولله الكمال ولعبده النقصان...أما تعريفي لمعنى الحال والمقام، وهل أوافق في ذلك ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، فقد أشرت إلى ذلك في ردي الأخير عندما قلت: «والتابعون ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين والتي تحدث عنها ابن تيمية وابن القيم.....»، فكن فطنا ولا تعجل واقرأ كلامي بتدبر وتؤدة. أما سؤالك: «هل يمكن ان تذكر لنا ... »، لا علم لي بالحقبة التاريخية الدقيقة التي وجد فيها شيوخ التربية، لكن يمكنني الجزم ان شيوخ التربية من الصوفية، كانوا موجودين قبل ظهور التصوف الطرقي الذي اختلط فيه مفهوم التربية بالسلوك الطرقي ، علما بان الصحابة والتابعين ومن تبعهم كانوا خير من مارس التربية ولقنها بكل أبعادها رضوان الله عليهم، وكذلك من اهتدى بهد يهم من العلماء، والفقهاء، والدعاة، والمصلحين الصادقين الربانيين في كل زمان.

ثم إن ما ذكرته في مقالي من أقوال العلماء؛ ابن تيمية، الشاطبي، النفزي، الشوكاني، فيما يتعلق بمفهوم شيخ التربية، أراه مستوعبا للمقصود والمعنى، ومحققا للمقصود.

أما قولك: ما دليلك على ان الشيخ الطرقي ليس هو شيخ التربية، ومن قال بذلك من العلماء؟ أقول: إذا كان المقصود بالتربية هو ما عرف عند الصحابة والتابعين...قبل ظهور التصوف الطرقي البدع والأهواء وتقديس الشيوخ والاستغاثة بهم، وما إلى ذلك من ألوان ومظاهرالدجل و المسخ والطمس، فالشيخ الطرقي لا ولن يكون شيخ تربية. أما إذا كان المقصود بالتربية، ما عرف عند الشيوخ الطرقيين من الانحرافات والبدع، والزيغ والميل عن السنة النبوية ومنهج الصحابة، منذ نشأة الصوفية الطرقية إلى الآن، فالشيخ الطرقي شيخ تربية.هكذا قال العلماء الربانيون الذين كانوا ولا يزالون يقفون في وجه المبتدعة والدجالين.

ثم أسألك بالله وأسأل إخوانك الصوفية: لو كان الحارث بن أسد المحاسبي، مثلا، ذلك الفقيه الصوفي النقي والشيخ المربي النموذجي، رغم موقف الإمام أحمد تجاه طريقته التربوية...أسألكم معشر الصوفية الأفاضل: لو كان هذا العالم الرباني حيا بيننا، ألا ترونه يتبرأ من التصوف الذي آل إلى ما آل إليه من الطرقية والمسوخات والدجل؟؟

أما سؤالك: عن الشاذلي والجيلاني والنفزي رحمهم الله، هل كانوا شيوخ تربية أو شيوخ طريقة، فيمكنك ان تستلهم الجواب من مقالي وردودي هنا، وكذا من أبحاثي في موقعي الإلكتروني، ما يكون مادة جوابي عن هذا السؤال. توضأ بماء السنة إن كنت ذا قلب،

وإلا فتيمم ببدعة بنت غفلة. هذا الكلام الأخير: «توضأ بماء السنة...» خاطر أو وارد حضرني أثناء تحرير هذا الرد، وهو من فتوحات الردود وهو أول الغيث... ثم ينهمر بإذن الله.

علي الصوفي



والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله وصحبه فضيلة الأخ الدكتور: كلّ عام وانتم بخير، غفر الله لي ولك وللمسلمين، وجزاك الله خيرا.

أمّا بعد:

ظننت العبد الضعيف انّك ستلتمس موارد الإستفادة منّي ومن الإخوان أهل الإحسان، وان تشرح صدرك للاستماع قبل الكلام، وتوصل كلّ صاحب قول إلى نهاية استيفائه منه، علّه يزيدك على ما عندك من الفهم إفادة أو نكتة أو لطيفة، أو توضيحا أو إرشادا. لكن قد يصعب عليك هذا كثيرا، لانّ من حكم بحسب ما يتصوّر، لا يمكنه ان يتعلّم لوجود النفس وما أدراك ما النفس. لكن الظاهر انّ من يتكلّم من فوق هيهات له ان يتعلّم أو يستفيد، لانّ من آكد شروط الاستفادة الصمت والسكوت.

والخلاصة: لم تجبني على شيء ممّا سألتك عنه، بل تهرّبت في كلّ مرّة، فإنّك يا فضيلة الدكتور، لا تكتب من منهجية ولا بطريقة علمية، وإنّما هي خواطر بعيدة هكذا، تكتبها كيفما اتّفقت، حتّى وصل بك الأمر إلى ترك ما سألتك عنه، وذهبت تؤسّس لنقض الإمضاء، والتعليق بطريقة نصفها خاطئ، وفيها من استعمال الألفاظ التوقيفية الواردة في القرآن في محل الإستهزاء: فالبدعة لا يتيمّم بها ولا يجوز ان نقول: تيمّم بالبدعة. بل نتيمّم بالصعيد أو الصخر إذا لم نحسن ان نتيمّم بماء الغيب، وقد سمّيت هذا من الخواطر والواردات، وهو أوّل الغيث عندك لا عندنا. هذا وإنّي أطلب من حضرتكم أخي الدكتور عبد الله الشارف، ان تقرأ في موضوع أخي وسيدي يوسف بدوي في ركن التزكية والسلوك تحت عنوان: « **نفائس الدرر**» وهو موضوع دار فيما بيني وبين سيدي فارس النور في قالب أسئلة مع أجوبتها، فأرجو منك، وألحّ عليك إن كنت طالب الله تعالى ان تقرأه كلّه وتتمعّن فيه جيّدا جيّدا، فإنّ في الأجوبة التصوّف الذي نفهمه وندين الله به، فخذ نفسا طويلا، فإنّي العبد الضعيف أخذت نفسا طويلا في قراءة مقالاتك في موقعكم. فهذه نصيحتي إليكم فضيلة الأخ. هذا وأرجوان تسامحني على حروشة كلامي معك، فإني ويعلم الله لا أتمنّى لك إلا الخير الكثير، والسعادة الدائمة. وفقكم الله لكلّ خير، وفتح مغالق قلوبنا جميعا، وهدانا بفضله إلى صراطه المستقيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد،

أخي الباحث على الصوفي:

في البداية أعتذر إليك لما صدر مني فيما يتعلق بنقدي لتوقيعك، ذلك انني لم أكن أعلم ان التوقيع لا يناقش ولا يمس، كما انني ظننته جزءا من نص جوابك، فمعذرة. ولقد نبهني لذلك ولدي عبد الرحمن الذي اقترح علي ان أكون عضوا في منتداكم قائلا: «يا أبت، إنك كتبت في التصوف ودرسته سنوات في كلية أصول الدين، بل مارسته عندما كنت طالبا في فرنسا، فاقتحم مواقع ومنتديات الصوفية، وانشر مقالاتك فيها وناقش القراء والباحثين»، فاستحسنت رأيه وتوكلت على الله، فكانت أول مبادرة في هذا المجال، ولذا فانا لا أعرف كثيرا من الضوابط المتعلقة بالمنتديات وطرق التعامل معها. فانا أجدد اعتذاري. ومع ذلك فالذي لا يناقش عندنا معشر المسلمين، هو القرآن وكلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أما ما سواهما فهو فكر بشري قابل للأخذ والرد. وبما انني بصدد مناقشة أفكار الصوفية، ونص توقيعك نبت في أرض التصوف، كما انه من كلام ابن عربي إذا لم أجانب الصواب، لانني قرأته كثيرا عندما

كنت متيما بقراءة كتب الصوفية في الثمانينيات من القرن العشرين الميلادي، فلا بأس إذا علقت عليه وناقشته، ولماذا الاستياء والانفعال؟ وانا أراك رجلا رشيدا، أليس «لوجود النفس وما أدراك ما النفس»، كما ذكرت لي في ردك الأخير؟ ولله ذر القائل:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم
وابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإذا انتهت فانت حكيم

وأضيف في تعليقي على القول الصوفي؛ توضأ بماء الغيب...وأقول: كما ان التيمم لا يصح مع وجود الماء الذي شرع للوضوء، فكذلك لا تصح البدعة مع وجود السنة التي شرعت للاهتداء. وإذا كان التيمم لا يجوز مع وجود الماء إجماعا، فكذلك لا يصح العمل المبتدع مع المسنون إجماعا. ثم إن قولك انني استعملت الألفاظ التوقيفية الواردة في القرآن في مجال الاستهزاء، استنباط لا يقوم على دليل، إذ ما عساك تقول في قوله تعالى: «وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية»؟؟ (الانفال،35). قال الفقيه الأصولي المفسر الطاهر بن عاشور في تفسيره «**التحرير والتنوير**»: «ولا تعرف للمشركين صلاة، فتسمية مكائهم وتصديتهم صلاة مشاكلة تقديرية، لانهم صدوا المسلمين عن الصلاة وقراءة القرآن في المسجد

الحرام عند البيت. كان من جملة طرائق صدهم إياهم تشغيبهم عليهم، وسخريتهم بهم يحاكون قراءة المسلمين وصلاتهم بالمكاء والتصدية، قال مجاهد فعل ذلك نفر من بني عبد الدار، وهم سدنة الكعبة وأهل عمارة المسجد الحرام، فلما فعلوا ذلك للاستسخار من الصلاة، سمي فعلهم ذلك صلاة على طريقة المشاكلة التقديرية، والمشاكلة ترجع إلى استعارة علاقتها المشاكلة اللفظية أو التقديرية.» انتهى.

إذن فتيمم ببدعة وصل صلاة مكاء سواء. هذا أيضا من فتوحات الردود.

أخي على الباحث؛ لقد قلت في جوابك الأخير انني أتكلم من فوق ولذا لن أتعلم.

أقول لك: أليس الذي يقول لمخاطبه عليك بالصمت والسكوت، هو الذي يتكلم من فوق ؟ إنها النفس وما أدراك ما النفس !!؟، أتراك معلمي بما كتبته وسطرته ؟ !!

أتطلب مني الصمت والسكوت كما يفعل شيوخ الطرق مع مريديهم، هيهات ثم هيهات. !! لقد قصدت منتداكم لاناقش أفكاركم وتناقشوا أفكاري، لا لكي أسكت وأصمت، فذلك منطق الذل والبلادة. فكن فطنا وارفع عن قلبك الحجاب والغشاوة.

أما **قولك**: إنك لم تجبني، ولم تقل شيئا ، فكن موضوعيا وقل على الأقل، بانني لم أجبك بما تريد وبما تهوى، ولكنك معذور لان كل من له موقف أو رأي

في مسالة ويعجز عن إفحام مخالفه أو نقض كلامه، يقول له: لم تقل شيئا، ولم تجبني البتة. وأعدك بانني سأقرأ إن شاء الله ما أشرت علي به.

***

بســــــم الله الرحمن الرحيم

لقد حوّلت النّقاش حضرة الأخ عبد الله الشارف إلى خارج الموضوع بامتياز، فأصبحت تستدلّ على التوقيعات وتناقشها، وبذلك خرج النقاش عن سياقه، ولا أظنّك بحسب ما قرأت لك انّك تريد حقّا مناقشة أفكارك وأفكارنا كما زعمت.

وإليك قائمة الأسئلة التي لم تجب عليها:

سألتك عن تعريفك للحال وللمقام ؟ وسألتك: هل وافقت أو خالفت ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في هذا؟ ...إلخ ارجع إلى مشاركاتي، فستجد الأسئلة مازالت مكتوبة على حالها. فلم تجب ولو على سؤال واحد منها، فخرجت عن الموضوع مناقشا التوقيعات!!!!!!

سألك الأستاذ الشيخ سيدي الملثم أحمد أسئلة فكانّك لم تقرأها !!!!!!

قلت لك: ساناقش معك تجربتك الصوفية، وعوض ان تفرح بهذا وتقول في نفسك: سنرى فلربّما غابت عنّي أشياء .... ولكنّك غير متّهم لنفسك.

طلبت منك ان تتركني حتّى أتمّ الردّ كاملا على مقالتك أعلاه، لكنّك لم تستمع، لذا طالبتك بالصمت والسكوت حتّى أتمّ تعاليقي على مقالتك مستوفيا، ثمّ تردّ متى شئت، لكنّك ذهبت تردّ وتنتصر ...

ليس هذا شان الباحثين ولا الطالبين ....

ذهبت تردّ كي تنقض تعليقي، فتأتي بخواطر لا أساس

لها ثمّ تقول: هذا من فتح الردود !!!!
سأغلق باب المناقشة معك في هذه الصفحة لانّك لا تريد نقاشا علميا، ولا يمكنك إيّاه، وهذا واضح من ردودك فهي على غير منهاج ولا علمية تذكر.
بالنسبة لـردّك على التعليق واستدلالك لـه فهو باطل، فلو قلت لك مثلا انّ الله تعالى: قد أقسم بالشمس وضحاها وأقسم بعمر النبيّ عليه الصلاة والسلام وأقسم بالنجم... فهل يجوز لي فعل ذلك؟ لكان جوابك: بل لو أقسمت بغير الله لكنت مشركا وهـذا لا ريب فيه عنـدكم، إذن فيكون إستدلالك من القرآن على الألفاظ التوقيفية في غير محلّه.
أمّـا بالنسبة للتعليق: فالشيخ الأكبـر عندما قال: توضّأ بماء الغيب إن كنت ذا سرّ: فهو يقصد المراتب العالية والعزيمة، فإذا لم تحسن ذلك ولا تقدر عليه انزلك إلى محلّ الرخصة، وهو التيمّم، والتيمّم لا يكون إلاّ بالصعيد أو الصخر، فإنّه رضي الله عنه ذكر مرتبتين: الرخصة والعزيمة وكلاهما محمود .
أمّـا انـت، فقد ذكـرت مـن فتـوحـات الـردود عليك: متناقضين هما: السنّة، والبدعة، فجعلت: الوضوء للسنّة، والتيـمّـم للبـدعـة، فجعلت العـزيمـة سنّة، والرخصة التي هـي التيمّم بدعة، فأين وجـدت انّ الناس يتيمّمون بالبدع، وقد أوضحت انّها من فتوحات الردود فما شاء الله.
ونحن لا نقول: أو تيمّم بالبدعة، فمتى سمعت انّ البدعة يتيمّم بها، ثـمّ انّ الله تعالى لمّا ذكر صلاة

المشركين والكافرين أضافها إليهم صلاتهم، لكنّك أطلقت لفظة التيمّم بل أضفتها للبدعة. فهل قال الله لهم صلّوا صلاة المكاء والتصدية، بل أخبر عن صلاتهم انّها مكاء وتصدية، ولكنّك أمرتنا ان نتيمّم بالبدعة فهناك فرق والإستدلال باطل. ولكنّه كيف يكون باطلا عندك وهو من فتوحات الردود.
ثمّ سؤالي: أين وجدت في كلام السلف الذين تدّعي انّك تتّبعهم هذه المقوله: أو تيمّم بالبدعة.
أمّا قولي لك: تريّث ولازم السكوت، فليس هو من قبيل ملازمة المريد لشيخه وأخذه عنه، بل من قبيل: دعنا نكمل وتمعّن في كلامنا ثمّ ردّ فهناك فرق.
أقول: لا أحبّذ ان أكون في مكانك، والتصوّف لا يدرس في كلّيات أصول الدين. فلو كان التصوّف بالدراسة لناله ابن تيمية من قبل وتلامذته، بل هو تقوى ظاهرة وباطنة، ومدد إلهي من حيث صريح الإيمان من مدد قوله عليه الصلاة والسلام: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربّا وبالإسلام دينا وبمحمّد نبيّا ورسولا».
هداني الله وإيّاك ودمت في حفظ الله تعالى ،

والسلام عليكم ورحمة الله.

***



والصلاة والسلام على من بعث رحمة للعالمين وبعد،
حضرة الفاضل والأخ الباحث، أبو علي الصوفي:
لقد ذكرت في جوابك الأخير أسبابا غير مقنعة وواهية، لتعلل أو تبرر بها عزمك على إغلاق باب المناقشة.

السبب الأول: قولك إنني حولت النقاش عندما ناقشت توقيعك، والحقيقة انني تناولت كلامك بالتحليل والرد المناسب، وختمت ذلك بتعليقي على تعليقك، لانني، كما ذكرت لك معتذرا، لم أكن أعلم ان التعليق لا يناقش. ثم إنني عالجته نقدا لانه نص صوفي يندرج في إطار موضوع مناظرتنا، وليس خارج الموضوع كما زعمت.

السبب الثاني: قولك: سألتك عن تعريفك للحال والمقام، وسألتك هل وافقت أو خالفت ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في هذا ... فلم تجب. فقلت لك ان الجواب على ذلك مسطر فيما ذكرته لك من قبل، وها انذا أسوقه لك من جديد: «فلا تناقض هناك؛ ذلك ان المريد في البداية عندما يرتبط بشيخه المربي الطرقي، ويشرع في ممارسة أوراده، فإنه بذلك يتقوى نحو الترقي في المقامات والأحوال، لكنه لغلبة

شخصية الشيخ من جهة، وغلبة الوساوس والخواطر النفسية من جهة ثانية، تطغى صورة الشيخ ويتركز حضورها في باطنه، فتتنكس بتلك الوساوس معاني الأحوال والمقامات في وعيه، ثم تصبح تلك الأحوال والمقامات غايات في ذاتها بعد ان كانت في البداية وسائل. ولذا تجد في كتب الصوفية نصائح موجهة إلى المريدين من بينها عدم الوقوف مع الأحوال والمقامات...أما الأحوال والمقامات التي كان عليها الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين والتي تحدث عنها ابن تيمية وتلميذه العالم النحرير ابن القيم رحمهما الله، فكانت أحوالا ومقامات صحيحة وسنية لانها ترتوي من النبع النبوي الصافي.

لكن عندما ظهر الشيوخ المربون المتفلسفة أو الطرقيون، لم يبق من المقامات والأحوال إلا الإسم.»

وإذا لم تستطع استنباط الجواب من هذا الكلام الأخير، فإني أقول لك موضحا: تعريفي ومذهبي في الحال والمقام هو تعريف ومذهب الشيخين الإمامين، ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، كما ان ثانيهما هو أحسن من ناقش المصطلحين وشذبهما ونفى عنهما غبش وأدران الفكر الصوفي المنحرف، فارجع إلى كلامه عنهما في كتابه «المدارج». وبالتالي فإني أوافق ابن تيمية وتلميذه في تعريفهما وفيما ذهبا إليه بخصوص الحال والمقام. وبعد ألا يكفي هذا الكلام جوابا على سؤالك ؟

السبب الثالث: قولك: إنني لم أحفل بأسئلة السيد الشيخ الملثم، ولم أقرأها.

الجواب، أخي الباحث، إنني منذ البداية، عندما طفقت ردود زملائك وإخوانك تنهال علي متزامنة مع ردودك، تساءلت: هل انا بصدد محاورة شخص واحد أم جماعة؟ فطمعا في الاستفادة العلمية الممنهجة، وتجنبا لتبديد الطاقة، عزمت على محاورتك وحدك، علما بان ردود زملائك، مع احترامي لهم، لا ترقى إلى مستوى ردودك، من حيث ان أغلبهم لا يناقشون صلب الموضوع ،كما تفضلت انت مشكورا، وإنما يثيرون قضايا أو يوجهون أسئلة لا تلامس موضوع شيخ التربية وشيخ العلم والتعليم. لكنك إذا قررت، أخي الباحث، الانسحاب وإغلاق باب المناقشة كما ذكرت في جوابك الأخير، فقد أحاورهم بإذن الله واحدا واحدا.

السبب الرابع: قولك: «سأناقش معك تجربتك الصوفية، وعوض ان تفرح بهذا وتقول في نفسك: سنرى فلربما غابت عني أشياء... ولكنك غير متهم لنفسك».

في البداية: انا لم ألتمس منك ولا من أحد مناقشة تجربتي الصوفية، ولا أهتم بمن ذمني أو مدحني بعد اطلاعه عليها. أتدري لماذا ؟ لانني لا أفتخر ولا أعتز بها، بل وددت لو انني لم أمارسها، وأكثر من هذا انني كنت قد عزمت، في نهاية الثمانينيات زمن توبتي ورجوعي إلى الله من بدعة التصوف، ان أحرق جميع ما كتبته فيما يتعلق بأفكاري وحياتي الصوفية، لولا ان بعض العلماء الأفاضل بمدينة تطوان، نصحوني

بنشر هذه التجربة مشفوعة بالنقد، لعل الله ينقذ بها أشخاصا يفكرون في ولوج باب التصوف الطرقي. وهذا ما صرح لي به أحد طلبتي في كلية أصول الدين، حيث رجع عن عزمه في الانتساب إلى طريقة صوفية عندنا، بعد اطلاعه على تجربتي الصوفية ومقالاتي في نقد التصوف، وكذا الاستماع إلى محاضراتي في الموضوع ولله الحمد والمنة. أما من هو غارق في التصوف الطرقي، فلا أظن ان كلامي ولا كلام العلماء الأجلاء كابن تيمية وأبي إسحاق الشاطبي وغيرهم من أعلام السلف الصالح رضوان الله عليهم، ينفعه إلا ان يشاء الله، إنه على كل شيء قدير. أقول لك، أخي الباحث: لا تتعب نفسك بقراءة تجربتي الصوفية ومناقشتها، فإنها تجربة باطلة ككل التجارب الصوفية. وهذا عمل ابتدعه ومارسه أصحاب الأهواء من العباد في كل بقاع الأرض وفي كل الملل، بإيحاء من الشيطان اللعين[20].

20 – إذا أمكن التسليم بان الحياة، من وجهة نظر معينة، غير يقينية ووهمية، أو تكاد تكون حلما يتراوح بين الفزع والنشوة الخاطفة، وان هذه التجربة لا تحقق شرطها الوجودي إلا بالموت باعتباره اليقين المطلق، فإن الصوفية انطلاقا من ذلك، يؤكدون مصداقية تجاربهم عروجا نحو المطلق، مقررين بضرب من الحسم على ضوء الحياة الدنيا من جانب، وعلى الوجود الحتمي المطلق الذي يجاهدون للوصول إليه من جانب آخر. إن الله غير العالم، وإن الخالق غير المخلوق، ومن ثم فالثنائية بين الحق والخلق بديهية من بديهيات الإيمان، وعقيدة يعتقدها كل مؤمن بوجود إله مغاير عن المخلوقين، لكن هذه الثنائية تغيب عن وعي المتصوف عندما يغمره الشعور بالوحدة وتتملكه الرؤية الواحدية، تلك الرؤية الناتجة عن التذوق الخاص، والتجربة الفياضة. إن الثنائية تتلاشى تدريجيا في شعور الصوفي حتى لا يرى إلا الله وحده هو الموجود، وان العالم وهم. وهنا تحل الواحدية محل الثنائية في التجربة الصوفية.
ثم إن الصوفي يعي تجربته الصوفية بوصفها سفرا نحو المطلق والأقاصي. وهذا السفر يقوِّمه الصوفي بما يسفر عنه، دون ان يكون الإسفار نهاية للسفر. فهو بداية متدفقة، وتتجدد باستمرار خصوصا إذا كان السفر سفر تيه، ولقد أشار

السبب الخامس: قولك: «طلبت منك ان تتركني حتى أتم الرد كاملا على مقالتك أعلاه، لكنك لم تستمع....» أقول لك: متى ستنتهي ردك ؟ أبعد أسبوع ؟ أم أسبوعين؟ أم شهر؟ ثم إذا كان جوابك في عشرات الصفحات أو ما يقارب كتابا... وبعد ذلك يأتي دوري في المناقشة والرد... أظن ان العمل أو الحوار سيكون مملا وثقيلا. وسنكون قد جانبنا منهج المناظرة البناءة، كما ان الزوار سيملون من سماع أجوبتك وحدك، وقد يقول بعضهم: ليته سكت وفسح المجال لمناظره. أليس كذلك؟ والله أعلم.

بن عربي إلى هذا المعنى في كتاب « الإسفار عن نتائج الأسفار « ضمن « رسائل ابن عربي « حيث يقول : « الأسفار ثلاثة لا رابع لها أثبتها الحق عز وجل، وهي سفر من عنده، وسفر إليه، وسفر فيه، وهذا السفر فيه هو سفر التيه والحيرة « .
والتجربة الصوفية في ممارستها تعبير أيضا عن تلبية النداء الروحي لدى أشخاص قادهم التأمل، أو الفلسفة، أو العزلة، أو فهم معين للعقيدة، أو عوامل نفسية واجتماعية، إلى سلوك درب التصوف وممارسة التجربة. بيد ان هذا النداء الروحي الذي أسفرت عنه تلك التجربة، كان هو نفسه نتيجة من نتائج تضخم الجانب الروحي الذي اعترى المتصوف قبيل الشروع في السفر، أو الإبحار في محيط التجربة الصوفية، وهو ما يتعارض مع مقصد من مقاصد الشريعة المتمثل في إقامة التوازن والاعتدال بين عنصري الروح والطين داخل الكيان الإنساني.
ثم إن التجربة الصوفية شرط أساسي في كل معرفة أو سلوك صوفي، لان المعرفة الصوفية لا تستفاد من الكتب، كما ان الأحوال الصوفية لا ترد على أصحابها إلا بعد المجاهدات والرياضات الروحية. ذلك ان المجاهدات الشاقة والرياضات تعتبر أساس من أسس التجربة الصوفية، وهي التي تفضي بالصوفي إلى المقامات والأحوال.
ويرى أهل التصوف ان العلوم المستفادة من التجربة الصوفية والروحية هي علوم ذوقية كشفية، وان عنصر الكشف فيها، أعلى وأرفع من عنصر العقل، من الكشف الذي هو طريق العارفين تتوارد علومهم، ومن معدنه يتلقون انوارها وأسرارها.
ومن ناحية أخرى، فإن الحضارات الكبرى، عبر التاريخ الإنساني، قد عرفت التصوف والتجارب الصوفية، مثل الحضارة الهندية والصينية واليونانية، كما اشتهر ذلك في حضارتنا العربية الإسلامية. وعرف التصوف عند اليهود والنصارى، واشتهر متصوفتهم بتجاربهم الصوفية. والتصوف يأخذ دائما الخصائص التي تنسجم مع انتسابه لهذا الإطار الحضاري الروحي أو ذاك، إلى جانب جملة من الخصائص والعناصر المشتركة للتصوف. («تجربتي الصوفية»؛ د. عبد الله الشارف، منشورات الزمن/ الرباط. 2011.ص 5-6).

أخي الباحث: إن كانت هذه هي الأسباب والعلل الخمسة التي تسوغ لك الانسحاب وإغلاق باب المناقشة، فانت حر في قرارك، لكن أخشى ما أخشاه ان ينال هذا الانسحاب، اللامبرر في رأيي، من منزلتك العلمية والروحية، أو يحدث فيها خدشا. وعن الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر، قلت أخي الباحث في جوابك الأخير؛ «فالشيخ الأكبر عندما قال: توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سر، فهو يقصد المراتب العالية والعزيمة، فإذا لم تحسن ذلك ولا تقدر عليه انزلك إلى محل الرخصة، وهو التيمم، والتيمم لا يكون إلا بالصعيد أو الصخر...».ثم قلت: أما انت فقد ذكرت من فتوحات الردود... فأين وجدت ان الناس يتيممون بالبدع ؟... كما قلت؛ أين وجدت في كلام السلف الذين تدعي انك تتبعهم هذه المقولة؛ أو تيمم ببدعة.»؟

سأجيب بإذن الله عن هذه التفسيرات وهذه الأسئلة إجمالا بما يلي؛ أقول لك في البداية: إن ابن عربي بهذا المنطق والشعور المتعالي، يصنف نفسه في المراتب والدرجات العالية التي نوه بها في كتاب «الإسرا إلى المقام الأسرى» أو» كتاب المعراج»، لانه يتوضأ بماء الغيب، وغيره ممن لا يستطيع ذلك، ينزله إلى محل الرخصة وهو التيمم. إن هذا الرجل الذي يصنف نفسه كما ذكرت لك، وينزل غيره محل الرخصة والتيمم، يتعالى بنفسه، وينتقص من قدر غيره من المسلمين من الذين انزلهم محل الرخصة.

ثم إن المقصود بقولي: توضأ بماء السنة إن كنت ذا قلب، وإلا فتيمم ببدعة بنت غفلة، ان من كان ذا قلب سليم تكفيه السنة، كحال الحاضر الصحيح يكفيه الماء للوضوء. ومن كان ذا قلب مريض بالبدع فلا تكفيه السنة التي هي كالماء للصحيح، بل يقصد البدعة الناشئة عن الغفلة. فالوضوء والتيمم في كلام ابن عربي وفي كلامي، ليس المراد منهما المعنيين الشرعيين، وإنما ذلك مجاز عبر به عما يشبهه في الجملة في الكلامين، وإن كان التيمم في اللغة معناه القصد، فتيمم أي اقصد. فالوضوء والتيمم والماء والتراب والصخر، في كلام ابن عربي لم يرد منها معناها الشرعي، وإنما أريد بها حال المريد الصوفي. فالمريد الواصل هو كالمتوضئ الصحيح بالماء، ومن دون ذلك هو كالمتيمم بالتراب، والقرينة إضافة الماء إلى الغيب. والوضوء والماء والتيمم في كلامي لم يرد منها معناها الشرعي أيضا، وإنما أريد منها أحوال المسلمين بين سني ومبتدع، والقرينة إضافة الماء إلى السنة والتيمم إلى البدعة، فإنه لا يقال ماء السنة ولا تيمم البدعة. ومن فهم من هذه الألفاظ معناها الحقيقي الشرعي يرجى له الشفاء من بلادة حسه، والله الشافي.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه
أشكر فضيلة الأستاذ سيدي فارس النور على ما تفضّل به من النصيحة للأخ الدكتور عبد الله الشارف برقّته المعهودة وشفقته العارمة، وكذلك أتوجّه بالشكر إلى شيخنا سيدي الملثّم أحمد الفاضل فإنّك تجد في كلامه النور الصادق والحكمة البالغة ولا أزكّي الأستاذين، ولا أزكّي على الله أحدا وإنّما كلمة حقّ أراها ضرورية في هذه الصفحة.
العبد الضعيف من طبيتعه لا يحبّ الجدال الفارغ الذي لا يقوم على أساس ولا منهجية، وهذا واضح عند كلّ من قرأ بتمعّن في المشاركات وردودها.
ليعلم من لا يعلم اني العبد الفقير، ما كنت سأتصدّر للردّ على موضوع الأخ عبد الله الشارف، لو لا انّني قرأت لأحد ساداتنا مدحا لكلامه لحسن ظنّه من جهة، ومن جهة أخرى وهي الأهمّ لانّه لم يستوف قراءة موضوع الأخ عبد الله الشارف كاملا، على كلّ انا اعتبرت ذلك المدح سبق قلم بحسن نيّة، فهذا في الحقيقة الذي دفعني للردّ بتلك الحدّة في البداية على الأخ عبد الله الشارف، فهي ردّة فعل على ذلك

المدح ان يغترّ به من لا خلفية له عن التصوّف وأهله. فهذا سبب الردّ الأساسي. والسبب الثاني انّ الأخ عبد الله الشارف عرّف نفسه بصفة دكتوريته وهذا أمر لا بدّ من اعتباره لانّ الصفة المرموقة، تضفي على الموضوع زيادة اعتناء من طرف القارئ، وإلاّ ما كانت ردودنا في بدايتها لهذا الحدّ، والسبب الثالث انّ لبّ مراد ومقصود الأخ عبد الله الشارف هدم التصوّف بزعمه على معرفة به كذوق وتجربة. فتصدّرت للردّ عليه لأبيّن له خلله في فهمه للتصوّف جملة وتفصيلا، وكذلك تناقضه الذي لا يخفى، ثمّ السبب الرابع لاحظت انّ الأخ عبد الله الشارف يكتب الردود ولا ثقة له كثيرة فيما علمه أو جرّبه من التصوّف، وقد لاحظ سيدي الملثم أحمد الفاضل هذا، فكتبه إليه وعلّق بانّ الأخ عبد الله الشارف في حيرة من أمره، والعبد الفقير أيضا التمست هذا، وما شئت ان أكتبه حتّى لا أخدش مشاعر من أحاوره. من جهة أخرى لاحظت اليوم وفي الردّ الأخير للأخ عبد الله الشارف ارتفاع مستوى الكتابة، وكذلك السبك العربي في التعبير أكثر ممّا مضى في الردود السابقة، ولو لا ثقتي في الأخ عبد الله الشارف، والتماس العذر له لربّما لما يعانيه من قلّة الوقت وعدم جهوزية الردود، وخاصّة انّ الوقت نهاية رمضان مع قدوم العيد، وكذلك حلول السنة الدراسية وإلاّ لقلت انّ كاتب ردّ اليوم ليس هو كاتب ردّ الأمس، وقبل الأمس، مع انّ الكاتب هو الأخ عبد الشارف حفظه الله.

بالنسبة لقولي البارحة؛ انّ العبد الفقير سينهي ويغلق النقاش في هذه الصفحة، لما رأيته من عدم جدوى هذا النقاش، وعدم منهجيته، وعدم علميته من الطرف المقابل، والذي يقرأ بتدبّر وتمعّن من بداية الحوار، يجزم بهذا بلا ريب: الأخ عبد الله وإلى الآن لم يجب على أيّ سؤال وجّهته إليه: وإلى الآن انتظر تعريفه لمعنى الحال ومعنى المقام، وما دليله في تعريفه؟ ثمّ ليذكر لنا تعريفات ابن القيم وابن تيمية رحمهما الله تعالى في هذا الخصوص وما دليلهما ؟ وقد سألته أيضا: من قال من العلماء انّ المريد يفنى في صورة الشيخ ؟ ثمّ سألته عن الأوراد ....وكثير من الأسئلة فما أجاب ولو على سؤال واحد.

أقول وبصدق:الأخ عبد الله الشارف المحترم خائف من الحوار، وليس له ثقة بعلمه، ولا أعلم سبب ذلك فإلى الآن ما أخرج لنا علمه ولو اقتباسا من كتب الوهابية. ربما انّه أستاذ في الفلسفة وكذلك يدرّس في كليّة أصول الدين. فكان بودّنا لو أعطانا نبذة يسيرة عن منهاجه الدراسي الأكاديمي في الشريعة الإسلامية، وفي أيّ فنّ من فنونها يناظر. لذا سألته فيما سبق ان يعطينا نبذة ولو وجيزة عن رحلته الدراسية في علوم الشريعة الإسلامية، وما مدى تخصّصه فيها، لانّنا حملنا صفته على محمل العلم والجدّ والمناظرة النزيهة والمفيدة، وليس تناطح الأكباش.

بالنسبة للأخ عبد الله الشارف اعتبر انّ أسئلة الفضلاء من ساداتنا الفقراء، كفيضلة الشيخ سيدي

الملثم أحمد، والأخ أبي العداس الصوفي، وكذلك مشاركات سيدي النجار الشريف، وتعليقات الأستاذ سيدي فارس النور انّها في غير صميم الموضوع، وانّها لا ترتقي إلى مستوى ردود العبد الضعيف، ولا أدري لماذ يقول الأخ عبد الله هذا الكلام، بل هي ردود جميلة موفّقة وليس هي ردود مناظرة، بل مساهمات قد تكون جانبية كتبسيط للدخول في الأهمّ، إلاّ ان أسئلة الشيخ سيدي الملثم أحمد فهي في الصميم، بل العبد الضعيف استفدت منها وأعجبتني كثيرا فإنّها ما وردت على خاطري، ولا على قلبي مع سلامتها الشرعية والعقلية والنقلية .

أمّا ردودك انت فضيلة الأخ عبد الله الشارف فهي التي لم تكن في صلب الموضوع، والدليل على ذلك مناقشتك لتوقيع العبد الضعيف، فهذا أمر لا يكون ناجما إلاّ من عجز وتحويل المناقشة عن طريقها، وهذا أسلوب نعرفه جيّدا وخاصّة عند إخواننا الوهابية فهم معروفون بهذا، وهذا الأسلوب رأيناه وشاهدناه عند القنوات الغربية، وخاصّة عند بعض أعداء الإسلام في مناظرتهم مع علماء الإسلام، كما يحدث هذا كثيرا في القنوات الفرنسية، فهو أسلوب غربي يهودي بالأساس، ولا أتّهم الأخ عبد الله بهذا حاشا وكلاّ، ولكنه سرد لوقائع معروفة ليس إلاّ، وعليه فإن كان أحدنا خرج عن الموضوع فهو الأخ عبد الله نفسه، و من يتمعّن يدرك هذا.

أمّا ردّ اليوم من الأخ عبد الله الشارف ومحاولته جبر

ما إستدلّ به على فتوحات ردوده من حيث قوله أو تيمّم ببدعة... فقد إعترف ضمنا انّ إستدلاله بالآية الشريفة كان إستدلالا خاطئا، لكنّه اعترف به ضمنا ولم يعترف به علنا ولو كنت مكانه لاعترفت به علنا متى كنت خاطئا.

ثمّ جاء يخبرنا انّ في توقيع الشيخ الأكبر رضي الله عنه ترفّع عن الناس، وهذا فيه من قلّة الفهم ما فيه، لانّ الشيخ الأكبر توجّه بالخطاب إلى غيره في قوله: توضّا بماء الغيب إن كنت ذا سرّ...

فما ذكر نفسه ولا مدحها بل أراد لغيره الرفعة والرقيّ، فلو حملنا قول الشيخ على انّه يترفّع ويمدح نفسه فيكون قياسنا أيضا بنفس منطقك انّك أيضا مدحت نفسك ورفعتها في قولك توضّأ بماء السنّة.. وحقّرت غيرك في قولك: أو تيمّم ببدعة ... فأين الهروب، لإنك كنت تحسّ في نفسك انّك ما أردت بذلك رفعة وما جال هذا الأمر ببالك، قلنا لك: الشيخ الأكبر أولى منك بذلك ...أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون انفسكم ... الآية

وهنا توجّهت حضرة الأخ عبد الشارف فردود فتوحاتك مرفوضة: أوّلا لانّه ردّ فعل على ما قاله الشيخ الأكبر، وردّ الفعل لا يكون فتوحات في منهاج التصوّف، بل هو تعصّب لرأي، ولهذا طالبتك منذ البداية ان يكون صدرك واسعا. فكما يقولون عرفت شيئا وغابت عنك أشياء، نحن أيضا كذلك ولا جمع العلم إلاّ الله تعالى، فحتّى موسى عليه السلام عوتب في ذلك كما تعلم،

فنقف عند حدود معرفة أقدارنا، ولا نترك الشيطان يستزلّنا، وقد قيل عاش من عرف قدره، ووقف عند حدّه أونزل دونه .

أمّا لو تجرّدت للبحث والحوار المستقيم الهادئ والمنهاج العلمي القويم، لأفدتنا من بحر علومك طرفا، وقد تستفيد انت أيضا من نهر علومنا وقد قيل: يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر، ولك في قصّة موسى مع الخضر عليهما السلام أبلغ برهان.

علي الصوفي

أخي عبد الله الشارف الفاضل المحترم :

إنّ التجرّد للبحث ومعافسة التجارب أمر أحبّه العلماء الكبار، وقد ألّف الشيخ البوطي حفظه الله كتابه: «شخصيات استوقفتني»، نبذة عن هذا النوع من العلماء، وقد كان ابن تيمية وابن حزم كذلك من هذا الصنف، إلاّ انّهم أخطؤوا كثيرا لغلظة الحسّ فيهم، لانّ ميدان التصوّف ميدان رقيق شفّاف من عالم الإحسان، لا يمكن البحث فيه بجمود الروح، وغلظة القلب، وبلادة العقل، نعم ان يتجرّد من له مقدرة غير مزيّفة، وصحيحة، ان يخوض خضمّ هذا البحر، فلا لوم عليه بل يجب برأيي في حقّه، وإلاّ فكيف ستلد هذه الأمّة نوابغها وفلاسفتها وباحثيها الكبار، لكن لا بدّ من شروط ولوازم كثيرة معلومة عند أهل العلم والفهم، فلا أظنّها تخفى على من هو في مثل مستواكم.

كذلك لذي ملاحظة: إسم العبد الفقير هو علي الصوفي، وليس أبو علي الصوفي، فلا أدري من

أين إقتبست هذا، ففي البداية كنت تناديني بعلي الصوفي، أمّا في الردود الأخيرة فأصبحت عندك أبا علي الصوفي، على كلّ قد تكون سبق قلم، هذا ولتعلم أخي بانّ أخاك هذا ليس بباحث، فأين انا من هذا اللقب؟ وإنّما العبد الفقير: مريد صوفي شاذلي. فلو وصفتني بالباحث، فإنّك تسقط تصوّفي وكتاباتي في منهاجه: بل فقير صوفي شاذلي له شيخ ومدرسة، وهو في كفالة شيخه أزوره في زاويته كلّما سنحت الظروف. أمّا الآن فالعبد الفقير في المدينة التي قمت فيها بتجربتك الصوفية، وكذلك لنا إخوان في جامعة السوربون منهم الأستاذ عبد الرؤوف، وهو دكتور مدرّس هناك والحمد لله، فقد أخذ على شيخي طريق الشاذلية، ولنا إن شاء الله معرفة بما عليه أحوال من يدّعون التصوّف في مدينة باريس، لذاك أردت ان اناقشك في تجربتك الصوفية في مدينة باريس.

هذا واعلم بانّك لست الأوّل ولا الأخير الذي نشأ نشأة إسلامية صوفية ثمّ غيّر رأيه، بل هناك من نشأ صوفيا ثمّ تشيّع، وهناك من نشأ صوفيا ثمّ توهّب، وأيضا في المقابل هناك من نشأ وهّابيا ثمّ تصوّف، ومنهم من نشأ شيعيا ثمّ تصوّف أو توهّب وهكذا... فليست تجربتك دليلا على الواقع والحقّ المحتوم.

وكذلك يجب ان يعلم: انّ العبد الفقير والكثير من العلماء هنا، لا يناظر أو يحاور أو يناقش من أجل ذات الحوار أو النقاش، بل والله لا يخطر هذا على بالي، وما حاورت مرّة أحدا فأحببت ان أغلبه لمجرّد الغلبة،

بل أحاوره إظهارا للحقّ الذي أراه بدلائل الحقيقية .
وبالجملة: التصوّف موجود لازم ما رفضه أحد، بل فقط عاند من عاند لا لنكران التصوّف من أصوله، بل هذا تصوّف السلف كتب فيه كلّ عالم وأقرّوه فما انكره أحد.
وأكبر دليل تراه في الجزء التاسع من فتاوى ابن تيمية المعوّل عليه عندكم، وكذلك وهو الأهمّ في كتاب مدارج السالكين فهو كتاب صوفي بكلّ المقاييس، إلاّ ما شذّ فيه مؤلّفه ممّا خلط فيه بين هذا وذاك.
وانا أستغرب من فضيلتكم كيف تنكرون التصوّف برمّته فمن سيصدّقكم في ذلك ؟ فيجب مراعاة الكلام: قفوهم إنّهم مسؤولون. وكذلك تعلم انّ المرء ليتفوّه بالكلمة لا يلقي لها بالا، يهوي به في نار جهنّم سبعين أو أربعين خريفا: وخاصّة إذا تعلّق الكلام بدين الله تعالى فالأمر أشدّ خطورة.
وما دفع الناس اليوم في هذا الزمان إلى نكران التصوّف، هو الغرور ودعوى العلم ومحبّة الرئاسة: وقد قال الأستاذ الشيخ سيدي الملثّم أحمد كلمة تكتب بماء العين قال: قد يكون الإنسان فاشلا في حياته، فيأتي إلى الدين ليترأس فيه، هذا معنى كلامه إن أصبت مقصده في الوهابية خاصة.
دين الله أخي أعظم ممّا يكتبه الوهابيون بكثير، فلو نترك الحبل على الغارب للوهابية، لهدموا الدين برمّته في بضع سنين، لانّهم لا يعرفون روح الدين ولبّه.

هذا واستغفر الله العظيم لي ولك، «اللهم أرنا الحقّ حقّا وارزقنا اتّباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه» آمين.

والحمد لله ربّ العالمين

المعذرة على الإطالة

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



والصلاة والسلام على أشرف
المرسلين سيدنا محمد وآله

وبعد:

حضرة الأخ الفاضل علي الصوفي: السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

في البداية، أخبرك كما أخبر الزوار والقراء الأفاضل انني أتأخر بالإجابة بضعة أيام لكثرة الأشغال الفكرية، وإن كان إنجاز الجواب أو الرد لا يستغرق أكثر من ساعتين أو ثلاث في مكتبتي الخاصة. ثم إنني سعيد بهذه المناظرة العلمية التي أرجو من الله ان يستفيد منها القراء على اختلاف مداركهم ومشاربهم. وقبل الدخول في صلب الموضوع ومعالجة النقط الهامة الواردة في جوابك، أود ان اناقش بعض الملاحظات والتساؤلات الجانبية.

منها **قولك:** «وقد لاحظ سيدي الملثم أحمد الفاضل هذا فكتبه إليه وعلق بان الأخ عبد الله الشارف في حيرة من أمره والعبد الفقير أيضا التمست هذا»... دعني أقول لك يا أخي: انت الذي في حيرة من أمرك، لان الله ابتلاك بعبد مسلم خبر التصوف ومارسه وتعمق فيه، بعد ان قرأ مئات الكتب والمقالات والأبحاث الصوفية بالعربية والفرنسية،

وذاق من اللذة الباطنية ما شاء الله ان يذوق ،من كثرة الذكر والتأمل والتدبر، وسمع وأحس وشعر بثورة وجدانية هائلة. حتى إذا كان قاب قوسين أو أدنى من الزيغ والضلال والانحراف العقدي، من الله عليه بالتوبة والأوبة والطمانينة. ومن باب شكر النعم، عاهدت الله ان أخبر المسلمين بهذه التجربة الباطلة، وأحذرهم من مغبة الوقوع فيها، وفي وحل التصوف الفلسفي والطرقي.

وفي علم النفس المعاصر شيء يسمى الإسقاط، ومعناه ان الشخص الذي يعاني أمرا نفسيا معينا قد يسارع إلى إسقاطه على غيره كي يظفر بقسط من الأمن النفسي. ولله در المثل العربي: «كل إناء يرشح بما فيه»، إذ قولك: «وإلا لقلت ان كاتب رد اليوم ليس هو كاتب رد الأمس...»، دليل واضح على ان حيرة نفسية قد اعترتك، وكان يكفيك ان تعمل عقلك بموضوعية في كتاباتي التي اطلعت على بعضها في موقعي الإلكتروني www.charefab.com لتكون فكرة عن مستوى كتابتي وأسلوبي وطريقتي في تناول الأفكار ومعالجتها، وأحيلك مثلا على مناقشتي لأفكار د.عابد الجابري، ود.عبد الله العروي، ود.فاطمة المرنيسي في كتابي؛ «الاستغراب في الفكر المغربي المعاصر»، أو مناقشتي لموضوع الاستغراب في التربية والتعليم بالمغرب، وهذه الأعمال نشرت في كتابين منذ عشر سنوات. وإذا أردت الإلمام بمستوى لغتي الأدبية، ولست أديبا، فاقرأ في موقعي أيضا :«واردات وخواطرإيمانية»،

وهو موضوع له علاقة بالرقائق وتزكية النفس... كان ذلك يكفيك جوابا، ويدفع عنك حيرة الشك. ثم إن الأجوبة والكتابات، كما يعلم الجميع، قد تختلف من حيث القوة والجزالة والحبكة والإحاطة، إلى غير ذلك باختلاف ظروف ووضعية الكاتب النفسية والعقلية. وبالنسبة لي مثلا، إن مستوى جوابك الأخير أقل من مستوى جوابك السابق، لأسباب منها :

1- **الحيرة** المشار إليها آنفا، وكان بإمكانك تجنبها حفاظا على وحدة الموضوع والمنهج.

2 - **ما زلت** تثير مسألة إخوانك المشاركين، علما بانني اناظرك وحدك، كما بينت سابقا، حرصا مني على الفائدة وتلافيا لتبديد الطاقة.

3- **ما زلت** مصرا على إثارة موضوعي الحال والمقام وتعليقي على كلام ابن عربي، مع انهما موضوعان جانبيان بالنسبة لصلب الموضوع الذي هو شيخ التربية وشيخ العلم والتعليم.

4 - **اتهامك** لي بانني وهابي، ولست كذلك، والله يشهد انني لا أهتم بهذا الموضوع بتاتا. واتهامك لا يقوم على دليل، ثم إنه ليس من الضروري ان يكون كل من انتقد التصوف الفلسفي والطرقي من المسلمين وهابيا .وهذا دليل أيضا على حيرتك المشار إليها.

5 - **قولك** عن أسلوبي في المناقشة بانه «...أسلوب غربي يهودي بالأساس»

أقول لك أخي الفاضل؛ تذكر ان الله سبحانه وتعالى نهانا عن الهمز واللمز، كما ان نبينا صلوات الله

وسلامه عليه لم يكن طعانا ولا فاحشا ولا بذيئا، وفي الحديث الصحيح؛ «إن الله يحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها». كما أقول لك: إنك بهذا السلوك رميت نفسك بثالثة الأثافي. إنها النفس وما أدراك ما النفس.

6 - **قولك:** «الأخ عبد الله الشارف المحترم خائف من الحوار وليس له ثقة بعلمه...». أخي الفاصل؛ لو كنت خائفا من الحوار لما خضته أو لتوقفت عنه. لكن أخشى ما أخشاه هو ان تنسحب وتغلق باب الحوار، وتحرم القراء من ثمرات المناظرة.

أخي الفاضل علي الصوفي؛ لطالما وصفت كلامي بانه خارج عن الموضوع، لكن ما هذه الهلوسات التي وقعت فيها ؟ : شكك في قدرة مناظرك على الكتابة، رميه بالحيرة والخوف من الحوار، تشبيه أسلوبه الحواري بأسلوب اليهود... أهي من صميم الموضوع أم هي أعلام حرب نفسية سافلة ودنيئة ؟؟

بعد هذا الكلام الناتج عما أثرته من تساؤلات مهلوسة، ألج صلب الموضوع واناقش ما يستحق المناقشة، وأفتتح بمسألة الشيخ حيث قلت : «من قال من العلماء ان المريد يفنى في صورة الشيخ ؟» أجيبك بما يلي:

قال عبد المجيد بن محمد الخاني النقشبندي في كتابه «**السعادة الأبدية فيما جاء به النقشبندية**» ص 23-22 اسطنبول 1981-1401 : «اعلم أيها

الأخ المؤمن ان الرابطة عبارة عن ربط القلب بالشيخ الكامل، ... وحفظ صورته بالخيال ولو عند غيبته أو بعد وفاته، ولها صور؛ أهونها ان يتصور المريد صورة شيخه الكامل بين عينيه، ثم يتوجه إلى روحانيته في تلك الصورة، ولا يزال متوجها إليها بكليته حتى يحصل له الغيبة أو أثر الجذب... وهكذا يداوم على الرابطة حتى يفنى عن ذاته وصفاته في صورة الشيخ... فتربيه روحانية الشيخ بعد ذلك إلى ان توصله إلى الله تعالى، ولو كان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب، فبالرابطة يستفيض الأحياء من الأموات المتصرفين».

ما أظنك تستطيع الاعتراض على هذا الدليل النقشبندي لانه دليل دامغ، ثم إن صاحبه من بيت التصوف وشاهد من أهله.

أما فيما يتعلق **بقولك**: «إن لب مراد ومقصود الأخ عبد الله الشارف هو هدم التصوف»، وقولك: «انا أستغرب من فضيلتكم كيف تنكرون التصوف برمته».

أجيب بانني لم أقصد قط في كلامي النقدي للتصوف هدمه برمته أو رفضه جملة وتفصيلا، ولا أظن ان عاقلا من المسلمين ينحو هدا المنحى. وأسوق لك نصا من نصوص التوبة في تجربتي الصوفية، التي ذكرت لي انك قرأتها ومع ذلك لم تنتبه إلى موقفي من التصوف:

«بيد ان هذا لا يمنع الباحث الحصيف والناقد المنصف، من ذكر الصفحات المشرقة من أقوال وكتابات الجيل الأول من الزهاد والمتصوفة المسلمين

أمثال الحسن البصري، والفضيل بن عياض، ووهب بن منبه، وبشر الحافي الحارث، والمحاسبي وأبو القاسم الجنيد وأبو سعيد الخراز، وغيرهم ممن عاشوا في القرنين الثالث والرابع للهجرة. فقد خلف هؤلاء الرجال من الأقوال حكما، ومن المعارف دررا ولآلئ جادت بها قرائحهم وترجمتها ألسنتهم وسطرتها أقلامهم، يتذوق قارِئها حلاوة معانيها، ويتنسم من خلال كلماتها صدق لهجة أصحابها، ومدى محبتهم لنبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ومجاهدتهم في سبيل تزكية النفس وتربيتها والسمو بها، ومدى شغفهم بالزهد والعبادة والتأمل والتدبر والمراقبة والمحاسبة. لقد كانت ألفاظهم كالتباشير مسموعة، وأزاهير الرياض مجموعة، ومعان كانفاس تعبق بالراح والريحان، كلام كما تنفس السحر عن نسيمه، وتبسم الدر عن نظيمه، ألفاظ تانق الخاطر في تذهيبها، ومعان عني الطبع بتهذيبها.

إن هؤلاء الرواد الأوائل من الزهاد والمتصوفة قد أرسوا، بما خلفوه من تراث زاخر ينبض صدقا وحيوية، قواعد متينة وطرقا تتعلق بمجال تربية النفس وتزكيتها ومداواة أمراض القلوب، والحض على طرق باب التوبة ونبذ الرذائل والتحلي بالفضائل، ولزوم التقوى وتفيئ ظلال الانس والمحبة، مستانسين ومسترشدين بالكتاب والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين من فقهاء وعلماء السلف الصالح. ثم إن هذا التراث الثمين الذي يعبر عن أدب الزهد والرقائق،

يتناغم وينسجم مع روح الوحي وأسس الهدي القرآني، إلا انه لا يخلو من هفوات وأخطاء وانزلاقات، وجب على علماء الأمة وفقهائها التنبيه عليها وإصلاحها.

أما فيما يخص التراث الصوفي المتعلق بالأجيال والقرون اللاحقة، فإنه قد ارتوى من عيون الفلسفة اليونانية، وعقائد اليهود والنصارى والفرس والهنود، ودبت في روحه نظريات الفيض والإشراق والحلول ووحدة الوجود، فأضحى تراثا لا علاقة له بزهد وتصوف الجيل الأول، وغدت الخيوط التي تربطه بالإسلام أوهن من خيوط العنكبوت. ثم نبتت نبتة التصوف الطرقي، وازدادت الهوة اتساعا حيث تعقدت التربية السلوكية بظهور نظام المشيخة الطرقية، فتعددت الطرق الصوفية، وتفنن الشيوخ في وضع القواعد والضوابط ذات الطابع التكليفي، وكذا إلزام المريد بأذكار وعادات وأعمال كثيرا ما تتنافى مع مبادئ السنة النبوية وروحها.

كما واكب تطور التصوف الطرقي أدب نثري وشعري، ملئ بموضوعات تتعلق بمدح الشيوخ وتعظيمهم، وبشطحات تعبر عن حالات نفسية ووجدانية غير منضبطة؛ لا تخضع لعقل ولا شرع، أو موضوعات تركز على كرامات الشيوخ وقدرتهم على التأثير في النفوس، والتدخل في شخصية المريدين وتوجيه إراداتهم، بل التدخل والتصرف في أمور أخرى لا داعي لذكرها، أو أذكار وأوراد وأحزاب من وضع الشيوخ، يتلوها ويرددها المريدون في زواياهم أو

في بيوتهم كل يوم؛ وهـي كلمات وصيغ أو نصوص نثرية إذا عرضت على الكتاب والسنة اتضح زللها وانحرافها».

والخلاصة انني أحببت التصوف واستفدت، وما زلت، من حكم وأقوال متصوفة الرعيل الأول رحمهم الله، الذين كانوا محل مدح وثناء من قبل جمهور العلماء والفقهاء، على مر العصور. ولقد تجدني بين الفينة والأخرى أتصفح بشغف كبير كتب ورسائل المحاسبي أو كتاب «صفة الصفوة» لابن الجوزي وغيرها من الكتب والرسائل الزاخرة بالحكم والمواعظ والوصايا الجليلة، بأسلوب سلس عذب رائق يتدفق من أعماق قائله مكلل بالصدق والإخلاص. نعم إن تلك الكتب والرسائل النقية الصافية لاتشبه الكتب والرسائل الصوفية الفلسفية التي وضعها أمثال الحلاج وابن سبعين وابن عربي والسهروردي، وغيرهم من أقطاب الصوفية المتفلسفة الذين أفسدوا التصوف بنظرياتهم في الحلول ووحدة الوجود وبالشطحات والهلوسات... كما ان تلك الكتب والرسائل لاتشبه أيضا ما سطره كثير من شيوخ الطرق الصوفية أو تلاميذهم من الطامات والمنكرات، تحت إسم الكرامات، وما وضعوه، وما فتئوا، من الأكاذيب والضلالات لاصطياد العوام والبله من الناس.

هـذا وإنـي تأسيا بثلة من الكتاب والمفكرين، قد شرعت بحول الله في المساهمة في توظيف المفاهيم الصوفية التربوية النقية في علم النفس الإسلامي:

إن شئت فاقرأ في هذا الصدد مقالي بعنوان «بناء الـذات بـين الـذكـاء الـوجـدانـي والـتـربـيـة الإيمـانـيـة» فـي موقعي الإلـكـترونـي. ومـيـدان توظيف المفاهيم والـرؤى الصوفية البناءة فـي التربية وعلم النفس الإسـلامـي مـيـدان يشتغل فيه الآن مئات الدكاترة والباحثين المسلمين خاصة العاملين في المعهد العالمي للفكر الإسـلامـي.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

***



والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
وآله وصحبه أجمعين

« وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (64) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (65) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (66) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (67) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (70) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (71) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (72) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (73) وَالَّذِينَ

يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (74) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (75) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (76) قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا».

***

الملثم احمد



أقول وبالله التوفيق:
اننى ساتوجه ببعض الكلمات للقارئ الكريم .وليس للاخ عبد الله الشارف الذى تعمد الهروب من من كل سؤال يوجه اليه ..بعد متابعتى للنقاش الطويل، أرى ان سيدى على الصوفى كان ملهما فى الردود !! اولا لانه تنبه للسم الذى حاول الاخ عبد الله الشارف ان يضعه فى العسل ويسقيه للناس .. فقدكتبمقالااولهرحمة،وأوسطهتدليس،وآخرهتضليل وكان ظاهره الرحمة وباطنه من قبله العذاب. اذ حاول الاخ بكل نعومة ان يشرب القارئ من نقيع ضلال ابن تيميه وتلميذه المسكين ابن القيم.
وقد تفطن السيد الهمام على الصوفى لذلك وبدا رده بحدة، تعجب منها البعض!!
ولكن سرعان ما ظهر ان الحق معه، حيث ظهر الاخ الشارف فى صورة غير ما بدا به من مراوغه وعدم اجابات مباشره.. وترك للموضوع الاصلى ثم راح يجادل فى التوقيعات !! ومع ذلك لا يعطى لنفسه مساحة من التروى للفهم والاقتناع.
واعلم أيها القارئ العزيز ان شيخ التربية هو الاصل فى الدين، وليس شيخ التعليم. فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو الشيخ الأول للأمة والمعلم الاكبر، ولم

يقل إنى بعثت للعلم الجدلى، رغم انه كان معلما.
ولكنه كان معلما للتربية فقال فى حديثه: إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق.
ومن يتأمل كيف كان الرسول يربى اصحابه يجد أمرا عجيبا.. وهو ان النبى لم يكن يكتفى بالتعليم الكلامى او الدروس الفقهيه..
وانما كان يعتمد على التربيه الروحيه قبل كل شئ !!
فاحيانا بالتوجه الغيبى للقلوب التى بين اصبعين من اصابع الرحمن. اللهم اعز الاسلام باحب العمرين اليك.
وهو ما يعرف عند الساده العارفين، بتربية السر، وفيه قالوا شيخك من يأمر معناك، لا من يأمر مبناك.
واحيانا كان النبى يربى بالمدد الغيبى..
فيحمل من الهواء بيده ويضع فى حجر أبي هريرة ويقول له: خذ وخذ !! ثم يقول له: اضمم رداءك، فيضم أبو هريره رداءه فيصير من أكبر الحفاظ وتتقوى ذاكرته حتى يصبح أعظم راو عن رسول الله..
وتلك امور تربوية روحية لا دخل لها بالعلم النظرى، فلينتبه القارئ !!
ومرة اخرى يربى رسول الله بالضرب !!!
والضرب هنا ليس ضربا للقسوه، ولكنه ضرب بقوة روحانيه يملأها المدد، فنراه يضرب عمر ثلاث ضربات، ثم يقول: اللهم أخرج ما فى صدره من غل، وأبدله ايمانا.
ومرة اخرى يضرب صدر رجل يستأذنه فى الزنا ويقول: اللهم حبب اليه الايمان وكره اليه الزنا، فيقول الرجل

بعدها، فقمت من بين يديه. ووالله ما من شئ أحب إلي
من رسول الله ولا أبغض إلي من الزنا!!
وهنا نحن امام نوع من التربية لا علاقة له بالتعليم
العقلى ، وإنما ضرب من ضروب الغيب والامور
الروحانية العجيبه التى تقلب الموازين، وتحول
الاعرابى الجلف الكافر إلى صحابى يفتح العالم
شرقا وغربا..
ومرة اخرى يربى رسول الله بالنظرة. بل ويأمر الله
المؤمنين ان يطلبوا من رسول الله النظرة:
«يا أيها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا»!!
فلم يكن امر رسول الله قائم على القاء الدروس
الدينيه فقط ..
وتلك الاحوال النبوية هى التى ورثها من النبى السادة
الصوفيه أهل الصفاء العارفين بالله..
وعليه كانوا يربون مريديهم بالعلم والتربيه الروحية معا !!
وهذا هو الاصل الذى يفتقده الوهابيه،
فترى في دينهم الجفاف والمظاهر والقشور.
وهى الامور التى حاول ابن تيميه وتلميذه فى
نهاية أعمارهم ان يقتبسوا منها ولو سرقه!!
فراحوا يسرقون علوم الصوفيه، ويتكلمون فى
أحوالهم ومواجيدهم بدون ذوق، وبدون ان يكونوا
على أحوالهم ومقاماتهم. فخرجت علومهم
ممقوتة مكسوفة لا بركة فيها. تماما كما فعل
صاحب الموضوع الاخ الشارف، غفر الله له.
وما يوجد عند شيخ التربيه من الوراثه

للاحوال المحمديه النبوية ، هو أغلى شئ في الوجود ، لانه شئ إلهى صرف ..!!
ولذلك ترى العامة يقبلون على الشخص الذى يشمون فيه رائحة من تلك المواهب اللدنية، ولو كشف لهم على يديه ولو قطرة، ترى مدى تعظيمهم ومحبتهم له وإلقاء أرواحهم على عتبة أقدامه. وما هذا ؤلا تعظيم لله وفرح بوجود المدد الإلهى فى هذا العبد الصالح.
وهذا ما غير مجتمعات وأصلح أمما، وفتح مدائن على مدى العصور والأزمان على أيدى الصالحين.
ولذلك لا يعلو على شيخ التربية شئ. ومهما أوتى الإنسان من علم ظاهري، فهو يخضع بفطرته لمن عنده قطرة من تلك المواهب اللدنية.
وترى ذلك فى سيدنا موسى وهو على علم عظيم، بل كان يكلم الله تكليما.
وانزلت عليه التوراة والالواح فيها من كل شئ، موعظة وتفصيلا لكل شئ.
ومع ذلك كيف خضع وتذلل للخضر فى طلب العلوم اللدنية منه، وهى التربية الروحية الصوفية وكان ذلك بأمر من الله لموسى.
فمن لا يطلب شيخا للتربية الروحية، يظن نفسه أعلم من موسى.
وقد صدق الله عندما وصف من لا يجدون الاولياء المرشدين بانهم على ضلال ، بل إن الله هو الذى أضلهم ، يقول سبحانه:
«من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا».



حضرة الأخ الفاضل أحمد الملثم السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد قرأت كلامك الموجه للقراء والمتعلق بشيخ التربية وشيخ العلم والتعليم موضوع المناظرة التي اهتم بها جمع غفير من زوار وقراء منتداكم الصوفي.

ولقد أعجبني هذا الكلام لاتصاله الوثيق بصلب الموضوع. ولولا اشتغالي بما يرتبط بالدخول الجامعي، لتناولته بالمناقشة والتحليل فورا. لكنني سأفعل ذلك بإذن الله بعد أيام قليلة ،

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

***



.

على الرحب والسعة.. اخى الكريم الدكتور عبد الله الشارف وانا منتظرك حتى تفرغ من كل ما يشغلك. ولا تستوحش منا اخى الكريم ، فلا يوجد عندى ولا عند سيدى علي الصوفى ما يسوؤك. وما نريد الا الاصلاح ما استطعنا، وتصحيح المفاهيم. على الطريق القويم. ولك كل الاحترام الى شخصك الكريم برغم أي خلاف. فنحن أهل الصفا لا نقبل الكدرا.
فتوجهنا اليك إنما نريد وجه الله فيك. وما انت ونحن إلا صورة وتراب!!

والله من وراء القصد،
وهو الهادى الى سواء السبيل

***



حضرة الأخ الفاضل أحمد الملثم، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد:
إذا اطلعنا على تاريخ الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، لن نجد ذكرا لمصطلح شيخ التربية لفظا أو مضمونا، بما يحمله من الحمولات والمعاني التربوية الصوفية. وليتصفح القارئ مثلا كتاب «صفة الصفوة»، ثم لينظر هل يجد ان أحدا من مئات الرجال المترجم لهم نعت أو وصف ب: شيخ التربية. وذلك راجع لأسباب جوهرية منها:
1- **ان المسلمين**، خلال هذين القرنين من الزمان، كانوا أحرص الناس على التقوى والاستقامة والتمسك بالكتاب والسنة، فلم يكونوا بحاجة إلى شيوخ التربية بالمعني الصوفي الذي أصبح متداولا في القرون اللاحقة. وبمعنى آخر، لم تكن هناك أزمات أومشاكل نفسية أوروحية متعلقة بضعف الإيمان. وإن وجدت فسرعان ما تعالج، إما عن طريق الصحبة الصالحة وما أكثرها في ذلك العهد، أو عن طريق اللجوء إلى شيخ فقيه عالم معروف بالصلاح والزهد فيطلب منه النصيحة.
2- **ان روح** التربية الروحية والإيمانية، كانت تسري

بين المسلمين بطريقة تلقائية، لان مظاهر الحياة الاجتماعية كانت تعبر أصدق تعبير عن الاستقامة وحب الدين ونصرته، الأمر الذي بدأ يتغير بعد انصرام العقود الأولى من حكم العباسيين، وظهور نفود الفرس.

3- **إن العلم** أو الفقه والتربية كانا يشكلان وجهين لعملة واحدة، فالصحابي أو التابعي، أو من تبعه خلال تلك الفترة أو خلال تلك الحقبة الصافية، عندما ينفق أحدهم العلم، فإنه في الوقت ذاته يلقن التربية الروحية والإيمانية. فلم يكن هناك شيخ في العلم والفقه دون ان يكون شيخا في التربية.

يستنتج مما سبق ان إسم شيخ التربية لم يكن ينعت به أحد في ذلك الزمن أو ينادى به عليه أو يخاطب به، بل كان الشيوخ العلماء والفقهاء يمارسون العلم والفقه تحصيلا وإنفاقا كما يمارسون التربية الروحية والإيمانية، ومن هنا فإن مصطلح شيخ التربية من المصطلحات المستحدثة.

والمسلم يحتاج في حياته إلى من يعلمه القرآن أو الحديث أو الفقه، أو يعلمه طرق وأساليب إصلاح النفس وتزكيتها. لكن ذلك المطلوب لا يتعين في شخص بذاته بحيث إذا انتسب إليه الطالب المستفيد يواليه وحده ولا ينفصل عنه، كما يفعل الصوفية مع شيوخهم، بل يستحسن ان يكثر من الشيوخ والعلماء، تماما كما يتغذى النحل وهو ينتقل بين الأزهار. وكل من قدم لمسلم فائدة فقهية أو تربوية فهو شيخه فيها، كما عليه ان يبحث عن الشيوخ والعلماء الربانيين

الورعين الزاهدين في الدنيا والراغبين في الآخرة، فهم وإن قلوا لم ينقطعوا ولله الحمد.

وبهذه الطريقة يظل قلب المسلم معلقا بخالقه وبنبيه صلوات الله وسلامه عليه وسنته، مع الاستفادة من الشيوخ والعلماء. فلم يرتبط الصحابة ولا التابعون ولا من تبعهم بشخص واحد في العلم والتربية، وجعلوه محورهم ومستندهم الوحيد، لأن هذا الأسلوب أي أسلوب الاقتصار على شيخ واحد له عيوب كثيرة: منها أن أي شيخ أو فقيه أو عالم يعتبر غير معصوم، إذ قد تصدر منه أخطاء في الفقه أو التربية تؤثر سلبا في عقيدة أو سلوك أتباعه أو تلاميذه، وهم لا يشعرون،وذلك بسبب حبهم لشيخهم الوحيد وتعصبهم لطريقته أو لمذهبه. ولذا كان تعدد المشارب وموارد الفوائد بتعدد الشيوخ والعلماء، أسلم وأصوب وأهدى سبيلا.

والخلاصة ان كل مسلم يكون على علم بفقه العبادات، مطلع على السيرة النبوية وسير الصحابة والتابعين والأئمة، متخلق بأخلاق، راغب في التقوى والاستقامة،... يعتبر مؤهلا، بالقوة والفعل، للقيام بدور الشيخ التربوي إذا دعت الضرورة لذلك، ودون حاجة لان ينعت بوصف شيخ التربية، أو يسعى للاتصاف بها والتخصص فيها حتى يعرف بها ويشار إليه بالبنان، إذ عندما يصل الأمر إلى هذا المستوى، قد يلج صاحبه باب الفتنة، فيفتن نفسه وغيره.

وبالمناسبة لا بأس من إطلاع القراء على أمر وقعت

فيه دون قصد، له علاقة بقولي: أن كل مسلم .... يكون مؤهلا للقيام بدور الشيخ التربوي

ذات يوم، قبل عشرين سنة خلت، كنت في طريقي إلى البيت، فالتقيت بأحد طلبتي في كلية أصول الدين، فحياني بتحية الإسلام، وطلب مني ان أستمع لكلامه، فاستجبت، ثم قال: «لقد أحاطت بي المشاكل من كل جانب حتى هممت بالانتحار!! إني قد رسبت في الامتحان النهائي للمرة الثانية، وفقدت منحة الطالب، وتوفي أبي منذ سنة وأنا أكبر إخوتي، وليس لي مال أساعد به أمي، كما يصعب علي ان أعثر على عمل يليق بسمعة عائلتي ... فانا أفكر في الموت». فقلت له تعالى معي إلى المنزل. وبعد تناول وجبة الغذاء، هيأت لنا أم أولادي إبريقا من الشاي مع بعض الحلويات، وكنت بين الفينة والأخرى أطمئن الطالب الحيران وأردد له قول الله تعالى: «فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا». ثم قلت له: سأساعدك في دراستك الجامعية هذه السنة كي تنجح وتحصل على المنحة من جديد. كما سأقدم لك بعض النصائح والإرشادات التربوية والإيمانية، وأهدي إليك إن شاء الله، بعض الرسائل والكتب المتعلقة بتربية النفس وتزكيتها. وكان ما قدمت له من النصائح كالتالي:

- احرص على صلاة الجماعة في المسجد.
- عليك بقراءة جزء من القرآن كل يوم.
- أكثر من الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

- اجتنب الحرام وقول السوء والغيبة والكبر...
واجتهد في التحلي بالأخلاق الحميدة.
- أكثر من الدعاء مع الإلحاح، لا سيما في جوف الليل
- الزم صلة الأرحام وأحسن إلى إخوانك المسلمين ولو بالكلمة الطيبة.

بعد مرور شهر، زارني الطالب نفسه، وكان فرحا مسرورا جميل المحيا، وقال لي: لقد انقدتني يا أستاذي من الهلاك، فقلت: انقدك الله سبحانه وتعالى. يا أستاذي لقد بدأت الأمور تتحسن، إذ تغيرت رؤيتي لنفسي وللعالم، وبدأت انظر إلى الأشياء والأمور نظرة تفاؤل، وقوي إيماني بالله، وصرت أحب الناس للصلاة والذكر، كما عثرت على عمل مؤقت، وسأجتهد في دراستي.

وحصل الطالب بعد ذلك على شهادة الإجازة، ثم فاجاني بزيارة أخرى بعد ما يقرب من عشر سنوات، وأخبرني بانه قد تزوج وله أولاد ويعمل مرشدا دينيا تابعا لوزارة الأوقاف والشؤون الدينية، كما أسند إليه خطبة الجمعة، فسررت لحاله.

وقبل بضع سنوات، التقيت بأحد الإخوة من الأساتذة الجامعيين، وبدانا نتجاذب أطراف الحديث حتى انتهينا إلى موضوع ضعف الإيمان الذي استشرى داؤه بين المسلمين، ثم قال لي: «أسألك عن عمل يحبب إلي العبادة ويذيب قساوة قلبي». فأجبته قائلا: «عليك بالقرآن وذكر الله». فقال: «أطلب منك ان تعلمني حب القرآن والذكر والسبيل إلى تزكية

النفس.» فقلت له: «اسمع يا أخي، انت أستاذ جامعي مثلي، فاجتهد كما يجتهد المسلمون الذين يرغبون في إزاحة غيوم الغفلة عن قلوبهم». فقال: «انا أريد منك نصائح عملية مكتوبة، أي برنامج عملي يتعلق بتقوية الإيمان وتزكية النفس». فقلت: «لست شيخا تربويا صوفيا أوزع الأوراد وأعالج نفوس المريدين...» فما زال يلح حتى كتبت له نصائح وخطوات عملية على طريق تزكية النفس.

وذات يوم، وهو يستعد لقضاء فريضة الحج، قلت له: «بارك الله لك في حجك، ولا تنساني بالدعاء. ففاجاني قائلا: «كيف انساك وانت لا تغيب عن ذهني يقظة أو مناما !! فقلت: «لا حول ولا قوة إلا بالله، قد يكون هذا من تلبيس إبليس، أو في أحسن الأحوال من أحاديث النفس، مصداقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المذكور في صحيح ابن حبان: «الرؤيا ثلاثة، منها تهويل من الشيطان ليحزن ابن آدم، ومنها ما يهم به الرجل في اليقظة فيراه في منامه وهو محل الشاهد، ومنها جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة». ثم قلت له: «وهذا باب من الأبواب التي ينفذ منها الشيطان إلى قلوب كثير من العباد الغافلين، وينفث فيها فيغدو العبد من الدجالين وهو يحسب نفسه من الواصلين.

هذا وقد حصل لي مع طلبة وأشخاص آخرين مواقف شبيهة بالموقفين المشار إليهما، حيث كنت أمام حالات متنوعة تستدعي العناية والتوجيه الإيماني.

وخلاصة القول ان التربية الإيمانية وظيفة تلقائية في المجتمع الإسلامي يمارسها العلماء والفقهاء الربانيون، والدعاة الصادقون والخطباء وأئمة المساجد ، وكل مسلم تتوفر فيه بعض الأوصاف، ويانس من نفسه القدرة على القيام بها. وليست حكرا على شيوخ التربية من الصوفية.

وليراجع القارئ مثلا المجلد السادس من كتاب «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» لأبي نعيم، يجد فيه من كبار علماء الفقه والحديث كحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، ومالك بن انس، وسفيان الثوري. وفي المجلد السابع هناك مثلا شعبة بن الحجاج، وسفيان بن عيينة والليث بن سعيد وغيرهم. وفي المجلد الثامن هناك الإمام الشافعي، والإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه وغيرهم من رؤوس علماء الفقه والحديث ممن أدخلهم أبو نعيم في جملة الأولياء من كتابه «الحلية». معنى هذا ان هؤلاء المذكورين وغيرهم كثير، كانوا علماء الفقه والحديث، وعلماء التربية والتزكية وإصلاح النفوس، أو علماء الظاهر والباطن، وهم في ذلك قد سلكوا طريق الصحابة والتابعين. والذين ساروا من بعدهم على دربهم ونهجوا نهجهم إلى يوم القيامة كانوا مثلهم في ممارسة علم الظاهر والباطن. حيث كانوا نماذج في العلم والفقه، وأئمة يقتدى بهم في التقوى والورع والزهد وحسن السمت. وقد كان تلاميذهم يعرفون كثيرا عن أعمالهم الروحية والإيمانية من ذكر وتلاوة

وقيام الليل وصيام التطوع... وقد يخبرون عن بعض كراماتهم وأحوالهم الروحية، فيتأثرون بهم ويقتفون أثرهم بطريقة تلقائية، فيتبوؤون بدورهم منازل التقوى والصلاح والاستقامة دونما حاجة إلى أوراد أورسوم، أو طقوس وأعراف أو علوم لدنية وكشفية كما هو الشان عند الصوفية.

وأتساءل بهذه المناسبة: لماذا لم يهتم الصحابة ولا التابعون، ولا أولئك الأئمة والعلماء والفقهاء المشار إليهم آنفا ولا الذين اقتفوا آثارهم ظاهرا وباطنا، بما اصطلح عليه الصوفية بالعلوم اللدنية وعلم الغيب ومائه !! وعلوم الكشف والمكاشفة، وما إلى ذلك من بحار المعارف والعلوم الروحانية والمعارج في السماوات... ألانهم كانوا أقل إيمانا وإحسانا وعلما من أوتاد الصوفية وأقطابهم وأبدالهم وشيوخهم؟؟ فكيف يعرج ابن عربي وأضرابه إلى السماوات ويرى ويسمع ويحس بالأحوال العجيبة مما ذكره رسائله وفتوحاته، حتى يغيب ويفنى عن وجوده، وهو القائل:

يحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده !!

كيف يعرج هذا[21] ولا يعرج الخليفة أبوبكر

---

21 يقول بن عربي : إعلم يا بني ان العبد المحقق الصوفي إذا صفا وتحقق ، صار كعبةً لجميع الأسرار الإلهية من كل حضرة و موقف ، ويَرِدُ عليه في كل يوم جمعة ما دام في ذلك المقام ستمائة ألف سر ملكوتي واحدٌ منها إلهي وخمسةُ أسرار ربانية ليس لها في حضرة الكون مدخل . يقول بنً البان عن عروجه إلى السماء : أوقفنيً الحق على بساط الأسرار ... وارتقيت إلى السماء الأولى ...ثم ارتقينا إلى السماء الثانية ... ثم انتهينا إلى السماء السابعة ... وفيها ملك على كرسي من نور ... وفي هذه السماء رضوان خازن الجنان وهو أجمل الملائكة من جنده ، وفيها إسرافيل رئيس عالم الجبروت ، وهو الذي بشرني بالقرب والمنزلة الكريمة عند ربي ، وبالسعادة في الآخرة والشفاعة في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي هذه السماء رأينا إبراهيم الخليل مسندا إلى البيت المعمور ... ثم انتهينا إلى سبعين حجابا آخر ... حتى انتهيت إلى آخر حجاب هناك ، وإذا بكرسي من اللؤلؤ مُنْصَبَّةٌ قوائمه من الجوهر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر ، فأخذ آخذ بيدي وأجلسني عليه ، ثم نزّل عليّ شيء ودخل جوفي من حيث لا أعلم ، فقال لي شيئا في

الصديق ولا عمر ولا علي ولا الإمام أحمد ولا ولا؟! بل كيف يفتح على أوتاد الصوفية وأقطابهم وشيوخهم في العلوم اللدنية وعلوم الكشف التي سطرت في مئات الكتب والمجلدات، ولم يفتح على الصحابة والتابعين ومن تبعهم، بشيء من ذلك ؟؟ وإنما وصل إلينا من أخبارهم بعض الكرامات والفتوحات في فهم القرآن والسنة، وأحوال روحية إيمانية متعلقة بالزهد والتقوى والاستقامة. والتي لم يكونوا معجبين بذلك ولا سطروها في كتب، ولا ادعوا

قلبي . ها قد أكرمك مولاك بالسكينة الربانية . فلما أحسّ باطني بها سكنت كل جارحة فيّ . فكاني لم أر أشياء ولم يهلني شيء . ثم نوديت من مكان قريب . وذلك من جهاتي السّت : يا حبيبي و مطلوبي ، السلام عليك ، فغمضت عينيّ ، وكنت أسمع بقلبي ذلك الصوت حتى أظنه من جوارحي لقربه مني ، ثم نوديت : انظر عليّ ، ففتحت عينيّ فصرت كلي أعينا ، وكان في باطني ما أراه في ظاهري ، وصرت كاني برزخ بين كونين وقاب ، كما يرى الرائي عند النظر في المرآة ما بخارجها . ثم سمعت بقارئ يقرأ قوله : آمن الرسول بما انزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . وإذا بذلك الحجاب قد رُفع وأذن لي بالدخول . ولما دخلته رأيت الانبياء صفوفا صفوفا ودونهم الملائكة ، ورأيت أقربهم للحق أربعة انبياء ، ورأيت أولياء أمة محمد أقرب الناس إلى محمد وهو أقرب الخلق إلى الله تعالى وأقرب إليه أربعة أولياء ، فعرفت منهم السيد محيى الدين عبد القادر ، وهو الذي تلقاني إلى باب الحجاب، وأخذ بعضُدي حتى دنوت من سيدنا محمد صلى الله عليه وآله ، فناولني يمينه فأخذته بكلتا يديّ ، فلا زال يجذبني ويدنيني حتى ما بقي بيني وبين ربي أحد ، فلما حققت النظر في ربي ورأيته على صورة النبي ، إلا انه كالثلج أشبه شيء أعرفه في الوجود من غير رداء ولا ثياب . ولما وضعت شفتي على محل منه لأقبله أحسست ببرد الثلج سبحانه وتعالى ، فأردت أخرُ صَعقاً ، فمسكني سيدنا محمد صلى الله عليه وآله . (المواقف الإلهية لابن البان صَ 164إلى 169) .

ويقول بن عربي في معراجه : بينما انا نائم وسر وجودي متهجد قائم جاءني رسول التوفيق ، ليهديني سواء الطريق ، ومعه براق الإخلاص ، عليه لبد الفوز ولجام الإخلاص ، فكشف عن سقف محلىّ ، وأخذ في نقضى وحلىّ ، وشق صدري بسكين السكينة ، وقيل لي : تأهب لارتقاء الرتبة المكينة وأُخْرَج قلبيَ في منديل ، لآمَنَ من التبديل ، وألقى في طست الرضا ، بموارد القضا ، ورمى منه حظ الشيطان ، وغسل بماء : إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ... ثم أتيت بالخمر واللبن ، فشربت ميراث تمام اللبن ، وتركت الخمر حذرا ان أكشف السر بالسكر ...استفتح لي سماء الأجسام فرأيت سر روحانية آدم عليه السلام ... فاستفتح الرسول الوضاح ، سماء الأرواح ... قال لي : مرحبا وأهلا... انظر كتاب «الإسراء إلى مقام الأسرى» لابن عربي من (رسائل ابن عربي) الطبعة الأولى ص18 حيدر أباد دكن الهند 1367 هـ .

ان ذلك عنوان الاستقامة والمنزلة العظمى والوصول. ألا يسعنا ما وسعهم؟ ألا يكفينا شرفا ومنزلة ان نكون من المتقين فحسب،

ونحظى بعدها بالولاية مصداقا لقوله تعالى: «ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون». فلماذا التنطع في الدين؟ ولماذا الغلو؟ ولماذا التطلع إلى ما يسمى بالعلوم اللدنية ولم يسع إليها الصحابة والتابعون والسلف الصالح؟؟

أسأل الله سبحانه وتعالى ان يهدينا سواء السبيل، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

***



ألأخ الفاضل أحمد الملثم

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد:

تتمة لكلامي المتعلق بموضوع العلوم اللدنية عند الصوفية، أقول:

ولما أعرض المتصوفة عن العلم الشرعي، أو لم يتقيدوا بضوابطه وطرق تحصيله المعهودة، خالفوا وصية إمام الطريقة، أبي القاسم الجنيد رحمه الله، حيث يقول: «طريقنا مبنية على الكتاب والسنة.....»، ووقعوا فيما أسموه : « العلم اللدني»، الذي حسب رأيهم يقذفه الله في قلوب من يشاء من عباده المتقين الذين سلكوا درب التصوف، وأماتوا شهواتهم وأهواءهم بكثرة العبادة والرياضة النفسية، كما اجتهدوا في تخلية قلوبهم من الرذائل وتحليتها بالفضائل، كي تغدو محلا لورود الواردات، وتتنزل العلوم والمعارف والنفحات.

وبالمناسبة أضع بين يديك ويدي القراء مجموعة من النصوص الصوفية التي تعكس علومهم ومعارفهم اللدنية!!:

يقول ابن الفارض متحدثا عن الذات الإلهية:

ففي الصحو بعد المحو لم أك غيرها

وذاتي بذاتي إذ تحلت تجلت

....

ولولاي لم يجد وجود ولم يكن

شهود، ولم تعهد عهود بذمة

فلا حي إلا من حياتي حياته

وطوع مرادي كل نفس مريدة !!

....

وكل الجهات الست نحوي توجهت

بما تم من نسك وحج وعمرة

لها صلواتي بالمقام، أقيمها

وأشهد فيها انها لي صلت[22] !!

وقال عبد الكريم الجيلي في الموضوع نفسه:

فمهما ترى من معدن ونباته

وحيوانه مع انسه وسجاياه

ومهما ترى من أبحر وقفاره

ومن شجر أو شاهق طال أعلاه

ومهما ترى من هيئة ملكية

ومن منظر إبليس قد كان معناه

ومهما ترى من عرشه ومحيطه

وكرسيه أو رفرف عز مجلاه

22 – انظر «تائية» ابن الفارض.

فإني ذاك الكل والكل مشهدي

انا المتجلي في حقيقته لا هو !!!

وإني رب للانام وسيد

جميع الورى اسم وذاتي مسماه[23] !!!

وقال الشيخ الصوفي محمد الحراق التطواني في «تائيته»:

أتطلب ليلى وهي فيك تجلت

وتحسبها غيرا وغيرك ليست !!

فذا بله في علة الحب ظاهر

فكن فطنا فالغير عين القطيعة

....

كلفت بها حتى فنيت بحبها

فلو أقسمت اني إياها لبرت

فحملت بها عني فلم أر غيرها

وهمت بها وجدا بأول نظرة

ولم أزل مستطلعا شمس وجهها

إلى ان تراءت من مطالع صورتي !!

....

وأصبحت معشوقا وقد كنت عاشقا

لان ظهوري صار أعظم زلتي

....

ولي مقعد التنزيه عن كل حادث

ولي حضرة التجريد عن كل شركة

---

23 - انظر «الإنسان الكامل» عبد الكريم الجيلي.

جلست بكرسي التفرد فاستوى

من الله عرش لي على ماء قدرتي

وقال في قصيدة أخرى:

كنت ما بيني وبيني

غائبا عني بأينـي

والذي أهواه حقا

لم يزل ذاتي وعيني

فانظروني تبصروه

إنه والله إنــي.

إن قول ابن الفارض:

ففي الصحو بعد المحو لم أك غيرها

وذاتي بذاتي إذ تحلت تجلت

يفيد الإمعان والإغراق في الحلول ووحدة الوجود، إذ هو لم يكتف بإثبات هذا الشعور في حال أو مستوى «المحـو»؛ الـذي هـو امحـاء الكثـرة والغـيريـة، وفناء السوية، وتجلي الوحدة المطلقة، حيث الخلق عين الحق والمربوب عين الرب، وإنما أكده، بكل استعلاء، حتى في حال «الصحو»؛ فذاته هي ذات خالقه سواء كان حاله محوا أو صحوا. كما يأبى هذا الضال، وهو في نشوة الاستعلاء والتيه والتكبر، ان يثبت لربه ذاتا إذ يقول:

وذاتي بذاتي إذ تحلت تجلت

فلم يقل: وذاتـي بذاتـه أو ذاتـه بـذاتـي، وإنمـا قـال، ليحكم بالعدم الصوفي على رب الـوجـود،: وذاتـي

بذاتي؛ فليس ثمة إلا ذاته.

وقريب من هذا المعنى قوله:

فوصفي، إذ لم تدع باثنين، وصفها

وهيئتها، إذ واحد نحن، هيئتي.

ولا داعي للتعليق على الأبيات الأخرى، كما ان المجال لا يتسع للتعليق على أبيات عبد الكريم الجيلي أو محمد الحراق، ويكفي القول بانها تستمد معانيها من معدن واحد.

ويقول عبد العزيز الدباغ وهو يصف مظهرا من مظاهر «الحقيقة المحمدية»[24]:

24- من المعجم الصوفي (ص 347 - 352) للدكتورة سعاد الحكيم أستاذة التصوف في الجامعة اللبنانية نقرأ في مادة: الحقيقة المحمدية. تقول الكاتبة: «الحقيقة المحمدية» هي أكمل مجلى خلقي ظهر فيه الحق، بل هي الإنسان الكامل بأخص معانيه. وإن كان كل موجود هو مجلى خاصا لإسم إلهي، فإن محمداً صلى الله عليه وسلم قد انفرد بانه مجلى للإسم الجامع وهو الإسم الأعظم (الله) ولذلك كانت له مرتبة الجمعية المطلقة، وللحقيقة المحمدية التي هي أول التعينات عدة وظائف ينسبها إليها الشيخ الأكبر:
-1 من ناحية صلتها بالعلم: الحقيقة المحمدية هي ببدأ خلق العالم وأصله. من حيث انها النور الذي خلقه الله قبل كل شيء وخلق منه كل شيء. وهي أول مرحلة من مراحل التنزل الإلهي في صور الوجود. وهي من هذه الناحية صورة «حقيقة الحقائق».
-2 من ناحية صلتها بالإنسان: يعتبر ابن عربي الحقيقة المحمدية منتهى غايات الكمال الإنساني، فهي الصورة الكاملة للإنسان الكامل الذي: يجمع في نفسه حقائق الوجود.
-3 من الناحية الصوفية: هي المشكاة التي يستقي منها جميع الانبياء والأولياء العلم الباطن.
يقول ابن عربي:
«...بدء الخلق الهباء(10)، وأول موجود فيه الحقيقة المحمدية، ولا أين يحصرها لعدم التحيز ومم وجد؟ في الهباء... ولم وجد؟ لإظهار الحقائق الإلهية...» (فتوحات 1/118).
«فلما أراد (الحق) وجود العالم وبدأه على حد ما علمه بعلمه بنفسه، انفعل عن تلك الإرادة المقدسة بضرب تجل، من تجليات التنزيه، إلى الحقيقة الكلية (= حقيقة الحقائق) انفعل عنها حقيقة تسمى الهباء (انظر «هباء») ... ليفتح فيها ما شاء من الأشكال والصور وهذا هو أول موجود في العالم... ثم إنه سبحانه تجلى بنوره إلى ذلك الهباء... والعالم كله فيه بالقوة والصلاحية فقبل منه تعالى كل شيء في ذلك الهباء، على حسب قوته واستعداده كما تقبل زوايا البيت نور السراج... فلم يكن أقرب إليه قبولاً في ذلك الهباء إلا

تتمة الهامش(24):

حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم المسماة بالعقل، فكان سيد العالم بأسره وأول ظاهر في الوجود، فكان وجوده من ذلك النور الإلهي ومن الهباء ومن الحقيقة الكلية، وفي الهباء وجد عينه وعين العالم من تجليه»(فتوحات 1/119)
يظهر من النص الأخير ان الحقيقة المحمدية أول ظاهر في الوجود، وإن كان وجودها عن الهباء وحقيقة الحقائق. فالأول، أي الهباء حقيقة معقولة غير موجودة في الظاهر (انظر «هباء»). والثانية، أي حقيقة الحقائق لا تتصف بالوجود ولا بالعدم (انظر حقيقة الحقائق).
إذن، يتبقى ان «الحقيقة المحمدية» هي أول موجود ظهر في الكون ومن تجليه ظهر العالم.
(2) «... إن الوجود كله هو الحقيقة المحمدية، وأن النزول منها إليها وبها عليها، وان الحقيقة المحمدية في كل شيء لها وجهان: وجه محمدي ووجه أحمدي: فالمحمدي: علمي جبرائيلي. والأحمدي: إيماني روحي أمّي(13) ... وان التنزيل للوجه المحمدي. والتجلي للوجه الأحمدي» .
«ولا يزال هذا العقل (العقل الأول = الحقيقة المحمدية) مترددا بين الإقبال والإدبار. يقبل على باريه مستفيداً، فيتجلى له فيكشف في ذاته من بعض ما هو عليه... ويقبل على من دونه مفيداً هكذا أبد الآباد... فهو الفقير الغني، العزيز الذليل، العبد السيد...» (عقلة المستوفز. ص 562) (لابن عربي)
«فكل نبي من لدن آدم إلى آخر نبي ما منهم أحد يأخذ إلا من مشكاة خاتم النبيين، وإن تأخر وجود طينته، فإنه بحقيقته موجود، وهو قوله صلى الله عليه وسلم «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين». وغيره من الانبياء ما كان نبياً إلا حين بعث» (فصوص 64-1/63).
ويقول الحلاج:
طس، سراجٌ من نور الغيب بدا وعاد، وجاوز السراج وساد...ما أخبر إلا عن بصيرته، ولا أمر بسنته إلا عن حق سيرته، حَضَرَ فأحضر، وأبصر فخبّر.. انوار النبوة من نوره برزتْ، وانوارهم من نوره ظهرتْ، وليس في الانوار نورٌ انْوَرُ، وأظهر وأقدم من القدم سوى نور صاحب الكرم...همته سبقت الهمم، ووجوده سبق العدم، واسمه سبق القلم، لانه كان قبل الأمم، ما كان في الآفاق وراء الآفاق ودون الآفاق، أظرف وأشرف وأعرف وانصف وأرأف وأخوف وأعطف من صاحب هذه القضية، وهو سيد البرية، الذي اسمه أحمد، ونعته أوحد، وأمره أوكد، وذاته أوجد، وصفته أمجد، وهمته أفرد...يا عجباً ما أظهره وانظره وأكبره وأشهره وانوره وأقدره وأبصره، لم يزل، كان مشهوراً قبل الحوادث والكوائن والأكوان، ولم يزل، كان مذكوراً قبل القبل وبعد البعد والجواهر والألوان...هو الدليل وهو المدلول... بالحق موصول غير مفصول، ولا خارج عن المعقول...العلوم كلها قطرة من بحره.. الأزمان كلها ساعة من دهره، هو الحق وبه الحقيقة، هو الأول في الوصلة، وهو الآخر في النبوة، والباطن بالحقيقة، والظاهر بالمعرفة... الحق ما أسلمه إلى خلقه، لانه هو، وإني هو، وهو هو...
ويقول أبو طالب المكي:
قال بعض أهل المعرفة: خلق الله الجنة بما فيها من نور المصطفى صلى الله عليه وسلم، فلما اشتاقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان شوقها إلى المعدن والأصل، وصار شوق المشتاقين إلى الجنة شوقهم إلى النبي صلى الله

«اعلم ان انوار المكونات كلها من عرش وفرش وسموات وأرضين وجنات وحجب، وما فوقها وما تحتها إذا جمعت كلها، وجدت بعضا من نور النبي، وان مجموع نوره لو ونضع على العرش لذاب، ولو وضع على الحجب السبعين فوق العرش، لتهافت، ولو جمعت المخلوقات كلها، ووضع ذلك النور العظيم عليها لتهافت ولتساقطت»[25].

ويقول أيضا :«رأيت وليا بلغ مقاما عظيما، وهو انه يشاهد المخلوقات الناطقة والصامتة، والوحوش والحشرات، والسماوات والأرضين، ويسمع أصواتها وكلامها في لحظة واحدة، ويمد كل واحد بما يحتاجه»[26].

تتمة الهامش(24):

عليه وسلم، لانها من نوره خُلقت.

ويقول البوصيري في البردة:

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورةُ مَن	لولاه لم تخرج الدنيا من العدم
دع ما ادعته النصارى في نبيهم	واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
فإن مِن جودك الدنيا وضرَّتَها	ومِن علومك علمَ اللوحِ والقلم

- أي: ان محمداً صلى الله عليه وسلم هو الذي أوجد الدنيا والآخرة.

ويقول محمد بن سليمان الجزولي في كتابه الذائع الصيت: دلائل الخيرات، وفيه الكفاية عن غيره:

اللهم صل على سيدنا محمد بحرِ انوارك...إنسانِ عين الوجود، والسبب في كل موجود، عين أعيان خلقك المتقدم من نور ضيائك...

- اللهم صل على محمد الذي هو قطب الجلالة...

- اللهم صل على سيدنا محمد نور الذات وسرِّه الساري في جميع الأسماء والصفات.

ويقول عبد السلام بن بشيش:

...اللهم صل على مَن منه انشقَّت الأسرار وانفلقت الانوار، وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق...وحياضُ الجبروت بفيض انواره متدفقة، ولا شيء إلا وهو به منوط...اللهم إنه سرك الجامعُ الدال عليك، وحجابُك الأعظم القائم لك بين يديك...

هذه بعض النصوص المتعلقة بالحقيقة المحمدية، التي اخترعها الصوفية. لا شك ان هذه الفكرة لها علاقة وطيدة بالفلسفة اليونانية؛ خاصة بالفيض الأفلوطيني، كما تتصل بمفهومي الحلول (حلول اللاهوت في الناسوت)، ووحدة الوجود. والإسلام برئ من كل هذه الترهات والشطحات.

---

25 عبد العزيز الدباغ: كتاب الإبريز الجزء الثاني، ص 84.

26 المرجع نفسه ج 2 ص 73.

ويقول أحمد التيجاني: «أخبرني سيد الوجود يقظة لا مناما: كل من أحسن إليك بخدمة أو غيرها، وكل من أطعمك يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب...»[27]

ويقول عن حقيقة القطبانية: «إن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقا في جميع الوجود جملة وتفصيلا، حيثما كان الرب إلها، كان هو خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه في كل من له عليه ألوهية لله تعالى، فلا يصل إلى الخلق شيء كائنا ما كان من الحق إلا بحكم القطب، ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود... ثم تصرفه في مراتب الأولياء، فهو المتصرف في جميعها والممد لأربابها، به يرحم الوجود، ذاته مرآة مجردة يشهد فيها كل قاصد مقصده».[28]

وعن علم القطب يقول التيجاني: «ومما أكرم الله به قطب الأقطاب ان يعلمه علم ما قبل وجود الكون، وما وراءه، وما لا نهاية له، وان يعلمه علم جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة من جميع الموجودات»[29].

وكلام عبد العزيز الدباغ وأحمد التيجاني، الذي فاض من بحر «العلوم اللدنية»، أيضا غني عن التعليق.

ولا أجانب الصواب إذا قلت بان محيي الدين ابن عربي كان أكثر المتصوفة اهتماما بهذا المجال، بل يعتبره أهل التصوف إماما في العلم اللدني. ومن جملة أقواله الدالة على ذلك قوله :

---

27 علي حرازم؛ «جواهر المعاني في فيض التيجاني»، ص 97 وما بعدها.

28المرجع نفسه ص 81.

29المرجع نفسه ص 79.

«وما قصدت في كل ما ألفته مقصد المؤلفين ولا التأليف، وإنما كان يرد علي من الحق تعالى موارد تكاد تحرقني، فكنت أتشاغل عنها بتقييد ما يمكن منها، فخرجت مخرج التأليف لا من حيث القصد، ومنها ما ألفته عن أمر أمرني به الحق في نوم أو مكاشفة»[30].

وقوله في كتابه « فصوص الحكم» : « فإن حكم موسى كثيرة، وانا إن شاء الله أسرد منها في هذا الباب، على قدر ما يقع به الأمر الإلهي في خاطري فكان هذا أول ما شوفهت به»[31]. (!!)

ويقول عن كتابه « الفتوحات المكية « : «بنيت كتابي هذا، بل بناه الله لا انا، على إفادة الخلق، وكله فتح من الله تعالى» [32]

ويقو في الكتاب نفسه : «الحمد لله الذي جعلني من أهل الإلقاء والتلقي»[33]

ومن أشعاره في هذا المضمار، قوله :

قلمي ولوحي في الوجود يمده

قلم الإله ولوحه المحفوظ

ويدي يمين الله في ملكوته

ما شئت أجري والرسوم حظوظ [34]

---

30 ابن عربي : «التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية»، بيروت 1981، ص 17.

31 ابن عربي « فصوص الحكم «، تحقيق أبو العلا عفيفي، بيروت 1980، ص 197.

32 ابن عربي «الفتوحات المكية « المجلد 4، ص 47.

33 المرجع نفسه، مجلد 1 ص 58.

34 ابن عربي : «التدبيرات الإلهية .....»، ص 162.

ويقول في كتابه «فصوص الحكم» أيضا :

«وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء. وما يراه أحد من الانبياء والرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم. ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم، حتى إن الرسل لا يرونه، متى رأوه، إلاّ من مشكاة خاتم الانبياء. فإن الرسالة والنبوة، أعني نبوة التشريع ورسالته، تنقطعان، والولاية لا تنقطع أبدا. فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء، فكيف من دونهم من الأولياء؟ وإن كان خاتم الأولياء تابعا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل في التشريع، فذلك لا يقدح في مقامه، ولا يناقض ما ذهبنا إليه. فإنه من وجه يكون انزل، كما انه من وجه يكون أعلى. وقد أظهر شرعنا ما يؤيد ما ذهبنا إليه في فضل عمر في أسارى بدر بالحكم فيهم !وفي تأبير النخل ! فما يلزم الكامل ان يكون له التقدم في كل شيء وفي كل مرتبة. وإنما نظر الرجال إلى التقدم في رتبة العلم بالله. هناك مطلبهم. وأما حوداث الأكوان فلا تعلق لخواطرهم بها فتحقق ما ذكرناه»[35]. (!!)

ويقول في كتا به «**فصوص الحكم**» **أيضا** :

«أما بعد : فإني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم، في مبشرة أريتها في العشر الآخر من محرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق، وبيده صلى الله عليه وسلم كتاب، فقال لي : هذا « كتاب فصوص

35 فصوص الحكم، ص 64-62.

الحكم» خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به
فقلت : السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر م
كما أمرنا، فحققت الامنية (أي أمنيته صلى الله عل
وسلم)! وأخصلت النية (لتنفيذ أمره) وجردت القص
والهمة (أي لم أربطهما بأي هدف دنيوي أو أخرو
إلى إبراز هذا الكتاب كما حده لي، رسول الله ص
الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقصان» [36] .!!!!
ومما هو مسطر في كتاب « الفصوص « هذا م
العلوم اللدنية الصوفية، قوله :

«ولما أحب الرجل المرأة، طلب الوصلة، أي غا
الوصلة التي تكون في المحبة، فلم يكن في صو
النشأة العنصرية أعظم وصلة من النكاح، ولهذا ت
الشهوة أجزاءه كلها، ولذلك أمر بالاغتسال منا
فعمت الطهارة، كما عم الفناء فيها . عند حصو
الشهوة، فإن الحق غيور على عبده ان يعتقد انه يل
بغيره،(!!!) فطهره بالغسل؛ ليرجع بالنظر إليه فيم
فنى فيه، إذ لا يكون إلا ذلك، فإذا شاهد الرج
الحق في المرأة، كان شهودا في منفعل، وإذا شاه
في نفسه . من حيث ظهور المرأة عنه . شاهده ف
فاعل، وإذا شاهده في نفسه من غير استحض
صورة ما تكون عنه، كان شهوده في منفعل عن الح
بلا واسطة، فشهوده للحق في المرأة أتم وأكمل؛ لا
يشاهد الحق من حيث هو فاعل منفعل، ومن نفس
من حيث هو منفعل خاصة؛ لهذا أحب صلى الله ع

36 فصوص الحكم ص 47.

وسلم النساء؛ لكمال شهود الحق فيهن، إذ لا يشاهد الحق مجردا عن المواد أبدا، فشهود الحق في النساء أعظم الشهود وأكمله، وأعظم الوصلة النكاح «[37].(!!!؟)

ولقد خوطب ابن عربي في نهاية معراجه بما يلي : «انت كيميائي، وانت سيميائي، انت إكسير القلوب، وحياض رياض الغيوب، بك تتقلب الأعيان أيها الإنسان، انت الذي أردت، وانت الذي اعتقدت : ربك فيك إليك ومبعودك بين عينيك، ومعارفك مردودة عليك، ما عرفت سواك، ولا ناجيت إلا إياك» [38].(!!!)

ومن أشعاره اللدنية التي يعبر فيها عن عقيدة وحدة الوجود، قوله :

فلولاه ولولانا

لما كان الذي كانا

فإنا أعبد حقا

وإن الله مولانا

وإنا عينه فاعلم

إذا قلت إنسانا

......

فأعطيناه ما يبدو

به فينا وأعطانا

فصار الأمر مقسوما

بإياه وإيانا [39]

37 عبد الرحمن الوكيل : « هذه هي الصوفية، بيروت 1984، ص 39 - 40».

38 ابن عربي : «الإسرا إلى مقام الأسرى، أو كتاب المعراج»، بيروت 1988، ص 168.

39 المرجع نفسه، ص 143.

وقوله :

لقد كنت قبل اليوم انكر صاحبي

إذا لم يكن دينه إلى ديني داني

لقد صار قلبي قابلا كل صورة

فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف

وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب انا توجهت

ركائبه فالحب ديني وإيماني[40]

---

40 ابن عربي : «ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق»، ص 39.
مما لاشك فيه ان محيي الدين بن عربي الصوفي كان من المتصوفة القائلين بوحدة الوجود، تلك النظرية التي ترجع في أصولها إلى الفلسفات الهندية واليونانية، والتي تسربت إلى الثقافة الإسلامية بعد اتساع رقعة العالم الإسلامي واحتكاك المسلمين بغيرهم من الشعوب والأمم. كما ان هذا الصوفي صرح بعض تآليفه بفكرة وحدة الأديان المنبثقة عن نظرية وحدة الوجود.
في الأبيات السابقة إشارة صريحة لموقف ابن عربي القائل بوحدة الاديان، وكان يقول إن مرشديه في الطريق الروحي هم ثلاثة موسى وعيسى ومحمد عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام.
ويقول الدارسون لتراث ابن عربي: إن مفهوم وحدة الأديان عنده يقوم على إرجاع حقيقة كل دين إلى جوهره الأساسي. وهو يعتقد ان كل الأديان في جوهرها واحدة. ويرى بان الفروقات بين الأديان في العبادات والطاعات مجرد فروق لا تمس الجوهر، إذ ان الحق واحد في أصله. غير انه في كل عصر انما يتجلى على لسان نبي من الانبياء، بحسب لغة قومه وعلى هيئة ما يفهمون وطبقاً لما يعقلون.
ويذهب ابن عربي إلى حد يصور فيه قلبه مجالاً يستوعب كل الأديان والمعتقدات بحثاً عن الكمال. ومعلوم ان هذا التصور والاعتقاد يعتبر انحرافا أو مروقا عن الدين الحنيف الذي هو الإسلام قال تعالى: "إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب" (سورة آل عمران، آية 19) . وقال عز وجل: "" ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه " آل عمران 84).
ويقول ستيفن شوارتز صاحب كتاب «وجها الإسلام: الأصولية السعودية ودورها في الإرهاب»: (ليست التعددية الإسلامية فكرة جديدة نشأت في الغرب وتُقَدَّم كشفاء ناجع للغضب الإسلامي، بل إنها حقيقة قديمة. ينطوي

هذا غيض من فيض مما يتضمنه كلام ابن عربي من انحرافات وضلالات ومسوخات، يسميها علوما لدنية وفتوحات ربانية. ونظراؤه من الصوفية في هذا كثير؛ كالغزالي والسهروردي وابن سبعين والجيلي والتلمساني وغيرهم.

وللعلامة الفقيه محمد بن قيم الجوزية كلام في العلم اللدني يستحسن الاستشهاد به :

و«العلم اللدني» ثمرة العبودية والمتابعة، والصدق مع الله، والإخلاص له، وبذل الجهد في تلقي العلم من مشكاة رسوله، وكمال الانقياد له. فيفتح له من فهم الكتاب والسنة بأمر يخصه به، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقد سئل : «هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء دون الناس؟ . فقال: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إلا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه وما في هذه الصحيفة، وكان فيها

العالم الإسلامي على طيف واسع من التفسيرات الدينية. فإذا وجدنا في أحد أطراف الطيف المذهبَ الوهابي المتعصب الذي يتصف بالقسوة والاستبداد ما يجعله أشبه بالإيديولوجية العربية الرسمية السائدة منه بالمذهب الديني؛ فإننا نجد في الطرف الآخر التعاليمَ المتنورة للصوفية. لا تؤكد هذه التعاليم على الحوار داخل الإسلام وعلى الفصل بين السلطة الروحية وسلطةٍ رجال الدين وعلى التعليم باللغة المحلية فحسب، بل إنها تحترم أيضا جميع المؤمنين، سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين أو يهود أو هندوسيين أو بوذيين أو من ديانات أخرى، تشدد الصوفية علاوة على ذلك على التزامها باللطف والتفاعل والتعاون المتبادل بين المؤمنين بغض النظر عن مذاهبه.
ثم يقول: « إذا أخذنا هذه الصورة المتنوعة بعين الاعتبار؛ فكيف يجب على الصوفية ان تدخل في الإستراتيجية الأمريكية للتعامل مع العالم الإسلامي؟»
(من كتاب: ابن عربي عقيدته وموقف علماء المسلمين منه» تأليف د.دغش بن شبيب العجمي، مكتبة أهل الأثر، الكويت 2011).

العقل وهو الديات، وفكاك الاسير وألا يقتل مسلم بكافر»[41] ، فهذا هو العلم اللدني الحقيقي.

وأما علم من أعرض عن الكتاب والسنة، ولم يتقيد بهما: فهو من لدن النفس والهوى، والشيطان، فهو لدني. لكن من لدن من؟ إنما يعرف كون العلم لدنيا رحمانيا: بموافقته لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل. فالعلم اللدني نوعان: لدني رحماني، ولدني شيطاني بطناوي. والمحك هو الوحي. ولا وحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما قصة موسى مع الخضر عليهما السلام: فالتعلق بها في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني إلحاد، وكفر مخرج عن الإسلام، موجب لإراقة الدم. والفرق: ان موسى لم يكن مبعوثا إلى الخضر. ولم يكن الخضر مأمورا بمتابعته. ولو كان مأمور بها لوجب عليه ان يهاجر إلى موسى ويكون معه.. ولهذا قال له «انت موسى نبي بني اسرائيل؟ قال: نعم» ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى جميع الثقلين. فرسالته عامة للجن والإنس، في كل زمان ومكان. ولو كان موسى وعيسى عليهما السلام حيين لكانا من أتباعه. وإذا نزل عيسى ابن مريم عليهما السلام؛ فإنما يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم.

فمن ادعى انه مع محمد صلى الله عليه وسلم

---

41 رواه البخاري.

كالخضر مع موسى، أو جوز ذلك لأحد من الأمة: فليجدد إسلامه، وليشهد شهادة الحق، فإنه بذلك مفارق لدين الاسلام بالكلية. فضلا عن ان يكون من خاصة أولياء الله. وإنما هو من أولياء الشيطان وخلفائه ونوابه [42].

نستخلص من هذه الإشكالية المعرفية التي جادل فيها الفقهاء خصومهم الصوفية، ان العبد المسلم يمكنه الظفر ببعض الثمرات العلمية والمعرفية عن طريق العلم اللدني. بيد ان هذه المعرفة المحصلة عن هذه الطريق ينبغي تمحيصها والتأكد من صحتها، بعرضها على الكتاب والسنة، إذ لا وحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. والمعرفة اللدنية الصحيحة لا تنبت إلا في رياض القلوب التقية السليمة من البدع والانحرافات العقدية، ومن الأهواء والشهوات النفسية، تلك القلوب التي تنورت بالبصيرة.

إخواني، معشر الصوفية الأفاضل، لقد تبين لي من خلال هذا العمل ان المناظرة في القضايا المذهبية من أصعب انواع المناظرات، لان كلا المتناظرين يرى ان صاحبه أو مناظره غير متجرد من الأهواء والميولات. فالمعترض على التصوف البدعي الطرقي يعتبر لدى مناظره المتصوف، وهابيا أو جاهلا بالتصوف، ولو

---

42 محمد بن قيم الجوزي: «مدارج السالكين» دار الجيل، بيروت مجلد 2 ص 536 - 537.

قدم هذا المعترض ألف حجة وبرهان. والأمر كذلك بالنسبة لمدعي التصوف إزاء مناظره المعترض.
فلو قال المعترض مثلا: إن النبي صلى الله عليه وسلم تستحيل رؤيته يقظة بعد موته، بدليل ان ليس أحد من الصحابة أو التابعين ومن تبعهم بإحسان خلال القرون الأولى ادعى ذلك، وإنما ادعى تلك الرؤية شيوخ وأقطاب بعد ظهور وتطور بدعة التصوف، لأجابه مدعي التصوف: إنك جاهل بعلوم القوم وأذواقهم أو مصاب بآفة الوهابية. بيد انني أتساءل: لماذا لم يقم أحد من هؤلاء الأدعياء بدعوة الناس لرؤية النبي صلى الله عليه وسلم عندما رآه أو حضر معه حتى يقيم الحجة على المعترض أو الوهابي؟ أليس لانه يفتري أو خيل إليه انه يراه؟
وكذلك إذا قال المعترض: إن المسلم لا يستطيع الطيران في السماء بدون آلة، ولا يستطيع إقامة صلاة الظهر في أقصى المشرق وصلاة العصر في أقصى المغرب دون الاستعانة بوسيلة نقل، ولا ان يستجيب، وهو ميت في قبره، لمستغيث يستغيث به، ولا ان يتصرف في أحوال الناس وأرزاقهم كما يفعل الأقطاب والأبدال والأوتاد، لأجاب مدعي التصوف ان كل هذا يستطيعه شيوخ التصوف وأقطابه وأوتاده، ولا دليل له على ذلك سوى انه مسطر في كتبهم كما

انه يجري على ألسنتهم. وقس على هذا ما لا يتسع المجال لذكره من الترهات والطامات والمسوخات.

وكذلك إذا قال المعترض: هذا الذي تسمونه علوما لدنية لم يكن موجودا عند الصحابة والتابعين، ولا يشبه من قريب ولا من بعيد إلهاماتهم وفتوحاتهم في فهم الدين وإدراك حقائقه. فمن من الصحابة أو التابعين تفوه بكلام من جنس كلام ابن الفارض في تائيته، أو الجيلي في كتابه؛ «الإنسان الكامل» أو في قصيدته المشار إليها آنفا، أو ابن عربي في «فتوحاته» أو «فصوصه»،أو الدباغ في كلامه الذي لم يحسن دباغته، أو الشعراني أو التيجاني أو ابن عجيبة أو الحراق.... لأجاب مدعي التصوف بالجواب نفسه، ولا دليل يستدل به سوى الهوى.

ولوقال المعترض: ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا تجعلوا قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد" (21). وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه: "لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور انبيائهم مساجد" (22) .

وقال صلى الله عليه وسلم: ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أوليائهم وصالحيهم مساجد،

ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، اني انهاكم عن ذلك."(23)

وعندما خالفوا أمره صلى الله عليه وسلم، جرهم ذلك الى مفاسد عظيمة، حيث اعتقدوا في أصحاب الأضرحة الضر والنفع وقضاء الحوائج، وتقربوا اليهم بالذبائح والقرابين، وطلبوا منهم ما يطلبه العباد من ربهم، واستغاثوا بهم الى غير ذلك من ألوان الشرك التي تفسد العقيدة. أقول: لو قال المعترض كل هذا لأجابه المتصوف الطرقي: انت تنكر بركة الأولياء ونفعهم للعباد، وتنفي كراماتهم وما خصهم الله به، وما يشبه هذا الكلام.

ولو قال المعترض: ان كل واحد من الشيوخ الطرقيين يزعم انه تلقى ذكرا وأورادا خاصة بطريقته من الغيب، إما من الله مباشرة، أو من الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة أو مناما، أو من الخضر عليه السلام، مثل ما هو موجود في الطريقة التيجانية، حيث يجلس المريد الذاكر جلسة التشهد، مغمضا عينيه، مستحضرا صورة الشيخ أحمد التيجاني، شيخ الطريقة، ويتخيل ان عمودا من النور يخرج من قلب الشيخ ويدخل في قلبه..

ولهم ذكر آخر يوم الجمعة عند الغروب، حيث يرددون لا اله الا الله ألف مرة مع السماع؛ وهو انشاد شئ

من الشعر بالغناء والترنم جماعة ، ثم يقولون: الله حي، والمنشد ينشدهم وهم قيام حتى يخلص عند الى لفظ : آه، آه، آه. ويسموه هذه الحالة: العمارة. ثم يصلون صلاة الفاتح لما أغلق خمسين مرة، ثم لا اله الا الله مئة مرة، ثم صلاة جوهرة الكمال اثني عشرة مرة. وبما ان النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة، يحضرون، في زعمهم، عند قراءة جوهرة الكمال، لذا يجب التطهر بالماءن وليس التيمم، قبل قراءتها. ومن شروطها أيضا تهييئ الفراش الطاهر الذي يسع خمسة أشخاص، لان النبي صلى الله عليه وسلم يحضر ومعه الخلفاء الأربعة !!!؟ (24) .

ان العبادات التي شرعها الله توقيفية فلا مجال للرأي فيها، ومع كل هذا الانحراف لا يستحيي الصوفية الطرقيون ولا يردعهم عقل أو دين من الزعم الدائم انهم يهتدون بالكتاب والسنة.

أقول: لو قدم المعترض هذا الكلام وأثبته بالحجج والبراهين، فان المتصوف الطرقي لن يعدم جوابا من جنس الأجوبة السابقة التي تنبت في أرض الأهواء والشركيات والضلالات.

اخواني الصوفية: قال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه: "من كان منكم مستنا، فليستن بمن كان مات، أولئك أصحاب محمد، أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها

علما، وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيهم واقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم، فانهم كانوا على الهدى المستقيم".(25)

فمن خالفهم زاعما انه أتى بطاعة و قربة، فلا يخلو حاله من أمرين: اما انه جاء ببدعة ظلما، واما ان يكون مدعيا فاقهم فضلا وعلما، بل كان مالك رحمه الله تعالى يقول: "من أحدث في هذه الأمة شئ لم يكن عليه سلفها، فقد زعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خان الدين؛ لان الله تعالى يقول: "اليوم أكملت لكم دينكم"، فما لم يكن يومئذ دينان لا يكون اليوم دينا".(26)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد".(27) أي مردود على صاحبه غير مقبول. وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: "كل عبادة لم يتعبدها أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم، فلا تعبدوها فان الأول لم يدع للآخر مقالا".

اخواني الصوفية: ان التصوف الطرقي ملئ بالبدع والمخالفات والضلالات، بدءا من أخذ العهد وتقديس الشيوخ أحياء وأمواتا، والاستغاثة بهم، ومرورا بالقبورية والمواليد والمزارات، ثم طي الزمان والمكان والكشوفات والمعارج، وهم جرا ومسخا... كل هذه المظاهر البدعية المستحدثة وغيرها، يدين بها

الصوفية الطرقيون، ويتقربون بها الى الله، وهم بذلك خالفوا أمر الله ورسوله، حيث انهم أدخلوا في عبادتهم لله ما لم يأمر به. ومن هنا فاني أخشى ان يصدق عليهم أو يعمهم قوله تعالى: "فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم" (سورة النور: 63).

إخواني المتصوفة الأفاضل؛ كلانا متمسك برأيه ومدافع عنه، فلا معنى للاستمرار في هذه المناظرة، ولذا فإنني قررت التوقف عن الحوار معكم في هذا الموضوع، وسوف أقوم، إن شاء الله، بطبع هذه المناظرة ونشرها كي يستفيد منها القراء.

أسأل الله العلي القدير ان يرزقنا السداد في القول والعمل. وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه أجمعين.

تطوان، صفر الخير 1432 هجرية

يناير 2011 ميلادية.



المراجع

1- أبو الوليد الباجي: «المنهاج في ترتيب الحجاج»، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، 1987.

2- أبو الحسن الأشعري: «مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري من إملاء الشيخ الإمام أبي بكر محمد أبي الحسن بن فورك»، تحقيق دانيال جيماريه، دار المشرق بيروت 1987.

3- أبو المعالي الجويني؛ «الكافية في الجدل»، تحقيق فوقية حسين محمود، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1979.

4- محمد بن قيم الجوزية: «مفتاح دار السعادة»، دار الكتب العلمية بيروت ج1.

5- أبو حامد الغزالي؛ «إحياء علوم الدين»، ج 3، دارالحديث القاهرة، 1998-1419.

6- محمد أبو الهدى الصيادي؛ «قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر»، ط. الأولى، 1980-1400، بيروت.

7- عبد الوهاب الشعراني؛ «الانوار القدسية

في معرفة قواعد الصوفية»، ج1، ص40، المكتبة العلمية، بيروت، 1992-1412.

8-عبد المجيد الخاني الخالدي النقشبندي؛ «السعادة الأبدية فيما جاء به النقشبندية»، إسطانبول 1981-1401.

9- أحمد بن تيمية؛ مجموع الفتاوى، ج10.

10-أحمد بن تيمية؛ «اقتضاء الصراط المستقيم»، ص 282، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1419

11- أبو إسحاق الشاطبي؛ «الموافقات في أصول الشريعة»، المجلد 1، الجزء 2، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت..

12- عبد الفتاح أبو غدة؛ تحقيق «رسالة المسترشدين»، دار السلام، ط. 5، 1988-1409.

13- صحيح البخاري.

14- ابن حجر العسقلاني. «فتح الباري، شرح صحيح البخاري»؛ ج 15، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، . 2000-1420.

15- محمد بن علي الشوكاني: «أدب الطلب ومنتهى الأرب» دار ابن حزم 1419-1998.
16- محمد بن قيم الجوزية: « مدارج السالكين» دار الجيل بيروت. د.ت.
17- عبد العزيز الدباغ: كتاب الإبريز الجزء الثاني.
18- علي حرازم؛ «جواهر المعاني في فيض التيجاني».
19- ابن عربي : «التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية»، بيروت 1981.
20- ابن عربي « فصوص الحكم «، تحقيق أبو العلا عفيفي، بيروت 1980.
21- ابن عربي «الفتوحات المكية « المجلد 4.
22- عبد الرحمن الوكيل : « هذه هي الصوفية، بيروت 1984.
23- ابن عربي : «الإسرا إلى مقام الأسرى، أو كتاب المعراج»، بيروت 1988.
24- ابن عربي : «ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق».

(من كتاب: ابن عربي عقيدته وموقف علماء المسلمين منه» تأليف د.دغش بن شبيب العجمي، مكتبة أهل الأثر، الكويت 2011).

***

لائحة إصدارات منشورات الزمن

* سلسلة كتاب الجيب:

العدد	المؤلف	العنوان
العدد 1	عبد الله إبراهيم	ثورة العقل .
العدد 2	عبد الإله بلقزيز	العنف والديمقراطية
العدد 3	محمد ضريف	الحركة الإسلامية: النشأة والتطور
العدد 4	محمد سبيلا	المغرب في مواجهة الحداثة
العدد 5	عبد الكريم برشيد	المؤذنون في مالطة
العدد 6	حسن أوريد	الإسلام و الغرب و العولمة
العدد 7	عبد الواحد الناصر	حرب كوسوفو: الوجه الآخر للعولمة
العدد 8	عبد السلام حيمر	مسارات التحول السوسيولوجي في المغرب
العدد 9	أحمد الريسوني	الفكر المقاصدي: قواعده وفوائده
العدد 10	ادريس كثير- عز الدين الخطابي	أسئلة الفلسفة المغربية
العدد 11	إدريس الخرشاف	المعرفة الإسلامية والعولمة، آي آفاق؟
العدد 12	سعيد يقطين	الأدب و المؤسسة
العدد 13	طه عبد الرحمن	حوارات من أجل المستقبل
العدد 14	محمد شقرون	الكتابة و السلطة و الحداثة
العدد 15	نور الدين أفاية	أسئلة النهضة في المغرب
العدد 16	محمد أسليم	الإسلام و السحر

العنوان	المؤلف	العدد
«حزب الله « اللبناني	عبد الإله بلقزيز	العدد 17
عولمة العولمة	المهدي المنجرة	العدد 18
المغرب : البترول و التنمية	أحمد هوزلي	العدد 19
المعاصرة و المواطنة	الميلودي شغموم	العدد 20
الحركة الإسلامية بين الثقافي و السياسي	محمد يتيم	العدد 21
الإسلام و أسئلة الحاضر	سعيد بنسعيد العلوي	العدد 22
العولمة و مجتمع الإعلام	يحيى اليحياوي	العدد 23
في ضيافة الرقابة	زهور كرام	العدد 24
نحن وأسئلة المستقبل	مالكة العاصمي	العدد 25
العالم ليس سلعة	عبد الهادي بوطالب	العدد 26
أبحاث في السينما المغربية	مصطفى المسناوي	العدد 27
الهجرة إلى الموت	عبد الواحد أكمير	العدد 28
السميائيات السردية	سعيد بنكراد	العدد 29
في معرفة الآخر	بنسالم حميش	العدد 30
صورة أمريكا في متخيل الرحالين العرب	عبد النبي ذاكر	العدد 31
الديانات السماوية وموقفها من العنف	مجموعة من الكتاب	العدد 32

العدد	المؤلف	العنوان
العدد 33	عبد الله ساعف	أحاديث في السياسة المغربية
العدد 34	وزارة التربية الوطنية	الجهود الإصلاحية بقطاع التربية والتعليم
العدد 35	محمد اليازغي	ذاكرة مناضل
العدد 36	سعيد شبار	الحداثة في التداول الثقافي العربي الإسلامي
العدد 37	سعد الدين العثماني	بالإمامة تصرفات الرسول (ص)
العدد 38	عبد القادر الفاسي الفهري	اللغة و البيئة
العدد 39	محمد سبيلا	دفاعا عن العقل و الحداثة
العدد 40	مجموعة من الكتاب	المثقفون المغاربة وتفجيرات 16 مايو
العدد 41	أحمد شحلان	التوراة و الشرعية الفلسطينية
العدد 42	كنزة الغالي	نساؤنا المهاجرات في إسبانيا
العدد 43	حنان السقاط	بين الاستشهاد و الإرهاب
العدد 44	هشام العلوي	الجسد بين الشرق و الغرب (نماذج و تصوات)
العدد 45	بشير قمري	دراسات في السينما
العدد 46	عبد النبي رجواني	التعليم في عصر المعلومات(تجديد تربوي أم وهم تكنولوجي)

العنوان	المؤلف	العدد
في الثقافة السياسية الجديدة	عبد القادر العلمي	العدد 47
في الحاجة إلى إبداع فلسفي	إدريس كثير / عز الدين الخطابي	العدد 48
المجتمع المدني و التحول الديمقراطي في الوطن العربي	الحبيب الجنحاني	العدد 49
في محبة المصطفى (ص)	القاضي عياض	العدد 50
شروط المصالحة مع السياسة في المغرب	سعيد بنسعيد العلوي	العدد 51
العلاقة بين السنة والشيعة	محمد سليم العوًا	العدد 52
المخفي والمعلن في الخطاب الأمريكي	إدريس مقبول	العدد 53
موسيقى المواجيد (مقاربات في فن السماع الصوفي المغربي)	التهامي الحراق	العدد 54
الثورات العربية.. في عالم متغير (دراسة تحليلية)	ابراهيم أبراش	العدد 55

*كتاب الجيب بالفرنسية:

العنوان	المؤلف	العدد
Langue et Ecologie	Abdelkader Fassi Fehri	العدد 47

*سلسلة قضايا تاريخية:

العدد	المؤلف	العنوان
العدد 1	محمود إسماعيل	الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي
العدد 2	إبراهيم القادري بوتشيش	مستقبل الكتابة التاريخية في عصر العولمة والإنترنيت
العدد 3	عبد الإله بنمليح	ظاهرة الرق في الغرب الإسلامي
العدد 4	الحسين بولقطيب	جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين
العدد 5	محمد تضغوت	البنية الثقافية وقضايا الفكر في المجال العربي الإسلامي
العدد 6	بوبة مجاني	المذهب الإسماعيلي وفلسفته في بلاد المغرب
العدد 7	محمد استيتو	الفقراء في المغرب (نماذج من القرنين 16 و 17 م)
العدد 8	مصطفى نشاط	جوانب من تاريخ المشروبات المسكرة بالمغرب الوسيط
العدد 9	حماه الله ولد السالم	تاريخ موريتانيا
العدد 10	أحمد المكاوي	الدور الاختراقي و الاستعماري للطبابة في المغرب
العدد 11	فاطمة بلهواري	التكامل الاقتصادي والمبادلات التجارية بين المدن المغاربية خلال العصر الوسيط

العدد	المؤلف	العنوان
العدد 12	سعيد بنحمادة	النظام التعليمي بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط
العدد 13	عبد الحق المريني	محطات في تاريخ المغرب المعاصر (1894-1956)

* سلسلة روايات الزمن:

العدد	المؤلف	العنوان
الرواية 1	الطاهر وطار	الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي
الرواية 2	محمد عز الدين التازي	ضحكة زرقاء
الرواية 3	يوسف القعيد	قطار الصعيد
الرواية 4	محمد الهرادي	ديك الشمال
الرواية 5	للروائي العالمي إرنست همنغواي ترجمة: د. علي القاسمي	الوليمة المتنقلة
الرواية 6	عبد الرحمن مجيد الربيعي	الوشم
الرواية 7	حسونة المصباحي	الآخرون
الرواية 8	هدى بركات	حارث المياه
الرواية 9	محمد أنقار	المصري

العدد	المؤلف	العنوان
الرواية 10	نبيل سليمان	سمر الليالي
الرواية 11	الطاهر وطار	الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء
الرواية 12	مجيد طوبيا	الهؤلاء .
الرواية 13	شاكر نوري	نافذة العنكبوت
الرواية 14	عبد الرحمان مجيد الربيعي	الوكر
الرواية 15	ياسين رفاعية	أسرار النرجس
عدد استثنائي	هنريك ابسن	بيت الدمية
عدد استثنائي	عفيفة كرم	بديعة وفؤاد
الرواية 18	للروائي العالمي إرنست همنغواي ترجمة: د. علي القاسمي	الشيخ والبحر
الرواية 19	عبد الرحمان مجيد الربيعي	الأنهار
الرواية 20	ألن لايتمن. ترجمة: علي القاسمي	أحلام أنشتاين
الرواية 21	لودفيغ هولبرغ. ترجمة: علي القاسمي	الفلاح البائس (ليس للضحك فقط..!)

* سلسلة ضفاف:

العدد	المؤلف	العنوان
العدد 1	تأليف: كاترين كليمان ترجمة: محمد سبيلا وحسن أحجيج	التحليل النفسي
العدد 2	تأليف: رولان بارت ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي	التحليل النصي
العدد 3	تأليف: د. ميخائيل فوسلينسكي ترجمة: د. سناء المصطفى الموصلي	سقوط الإمبراطورية الحمراء
العدد 4	تأليف: جيلبير كرانفال ترجمة: محمد بن الشيخ	أسرار مهمتي بالمغرب
العدد 5	تأليف: ماريا ريكله/ فارغاس يوصا ترجمة وتقديم: أحمد المديني	رسائل إلى شاعر ناشئ روائي ناشئ
العدد 6	تأليف: نيكولاس باباندريو ترجمة: مروان عكاوي	سياسة ورقص
العدد 7	تأليف: أمبروسيو هويثي ميراندا ترجمة: عبد الواحد أكمير	التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية
العدد 8	تأليف: بول لوران أسون ترجمة وتقديم: محمد سبيلا	التحليل النفسي

العدد	المؤلف	العنوان
العدد 9	تأليف: ميغيل هيرناندو دي لارامندي ترجمة: عبد العالي بروكي	السياسة الخارجية للمغرب
العدد 10	تأليف: مارية روسادي مادارياغا ترجمة: كنزة الغالي	مغاربة في خدمة فرانكو
العدد 11	تأليف: خيما مارتين مونيوث ترجمة: كنزة الغالي	الإسلام والمسلمون في إسبانيا (من خلال دراسات ميدانية)
العدد 12	تأليف: خوان باندو ترجمة: سناء الشعيري	التاريخ السري لحرب الريف (المغرب.. الحلم المزعج)
العدد 13	تأليف: خوان غويتيصولو ترجمة: عبد العالي بروكي	إسبانيا في مواجهة التاريخ .. فك العُقَد
العدد 14	تأليف: بيرنابي لوبيس كارسيا ترجمة: بديعة الخرازي	الانتخابات المغربية منذ سنة 1960 إلى الآن...
العدد 15	تأليف: مجموعة من المؤلفين ترجمة: محمد سبيلا	إشكاليات الفكر المعاصر
العدد 16	تأليف: رامون لوريدو دياث ترجمة: - د. مولاي احمد الكمون - د. بديعة الخرازي	السياسة الخارجية للمغرب (في النصف الثاني من القرن الثامن عشر) الجزء الأول: الجزء الثاني:

العدد	المؤلف	العنوان
العدد 17	تأليف: رامون لوريدو دياث ترجمة: - د. مولاي احمد الكمون - د. بديعة الخرازي	المغرب وأحلام الزعامة على الغرب الإسلامي

* سلسلة شرفات:

العدد	المؤلف	العنوان
العدد 1	حسن المنيعي	أبحاث في المسرح المغربي
العدد 2	عبد الإله بلقزيز	زمن الانتفاضة
العدد 3	نور الدين أفاية	السلطة والفكر
العدد 4	عبد الرحمان بن زيدان	التجريب في النقد والدراما
العدد 5	إبراهيم أبراش	الديمقراطية بين عالمية الفكرة وخصوصية التطبيق
العدد 6	عبد الهادي بوطالب	نصف قرن في السياسة
العدد 7	علي القاسمي	من روائع الأدب المغربي
العدد 8	علال الأزهر	الماركسيون في المغرب (الطبعة الثانية)
العدد 9	عبد الحفيظ حمان	المغرب والثورة الفرنسية
العدد 10	عبد الحفيظ العمري	الشطرنج هدية العرب إلى العالم
العدد 11	سعيد بنكراد	السميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها

* سلسلة شرفات:

العدد	المؤلف	العنوان
العدد 12	مجموعة من الاختصاصيين	ثورة هادئة: من مدونة الأحوال الشخصية إلى مدونة الأسرة
العدد 13	محمد الشيخ	مسألة الحداثة في الفكر المغربي المعاصر
العدد 14	أحمد الخمليشي	وجهة نظر: ج 5 لماذا لا نربط بين التنظير والممارسة
العدد 15	عبد السلام حيمر	المغرب: الإسلام والحداثة
العدد 16	كمال عبد اللطيف	في مواجهة اليأس العربي
العدد 17	محمد الشيخ	ما معنى أن يكون المرء حداثيا
العدد 18	عبد الإله بلقزيز	الحرب الإسرائيلية على لبنان (شهادات من قلب الحصار)
العدد 19	جميل حمداوي	من قضايا التربية والتعليم 2006 حول إصلاح التعليم
العدد 20	عبد النبي رجواني	حول إصلاح التعليم
العدد 21	المصطفى وزاع	الكلام المكمول لسيدي امحمد البهلول (ديوان عزري العلوة)
العدد 22	محمد سليم العوّا	الفقه الإسلامي في طريق التجديد
العدد 23	جميل حمداوي	من مستجدات التربية الحديثة والمعاصرة

العنوان	المؤلف	العدد
من الإبداع الروائي إلى نقد النقد (من مقررات البكالوريا)	جميل حمداوي	العدد 24
المسرح الأمازيغي	جميل حمداوي	العدد 25
مدرسة المستقبل (رهان الإصلاح التربوي في عالم متغير)	مصطفي محسن	العدد 26
التصوف السني في تاريخ المغرب (نسق نموذجي للوسطية والاعتدال)	مجموعة من المؤلفين	العدد 27
الظاهرة القرآنية عند محمد أركون	أحمد بوعود	العدد 28
الغلو في الدين...المظاهر و الأسباب	المقرئ الإدريسي أبو زيد	العدد 29
الديانات السماوية وموقفها من العنف	مجموعة من الكتاب	العدد 30
تجربتي الصوفية (مساهمة في فهم الكيان الصوفي)	عبد الله الشارف	العدد 31
الأنترنيت والديمقراطية (إنعاش وتجديد أم تقويض وتأزيم؟)	عبد النبي الرجواني	العدد 32
رهانات تنموية (رؤى سوسيوتربوية وثقافية نقدية)	مصطفى محسن	العدد 33
مسارات التحول السوسيولوجي في المغرب	عبد السلام حيمر	العدد 34

العدد	المؤلف	العنوان
العدد 35	محمد الشيكر	في الفلسفة الألمانية: هايدغر ضد نتشه
العدد 36	عبد الواحد الناصر	تقنيات البحث (من التأسيس والتركيب إلى النقد والتأصيل)
العدد 37	سعيد يقطين	المغرب.. مستقبل بلا سياسة؟ (.. في الثقافة والسياسة والمجتمع)
العدد 38	د. محمد اندلسي	نيتشة و معضلة التربية
العدد 39	أحمد بوعود	الإنسان في القرآن

* أعداد خاصة:

العدد	المؤلف	العنوان
عدد خاص	عبد العزيز هنا	الحرس بين الأمس واليوم
عدد خاص	نادي القصة القصيرة بالمغرب	منارات
عدد خاص	كورت درافرت وعادل قرشولي	قصائد .. قصائد (شاعران، لغتان، عالمان)
عدد خاص	حفيظة لحر	امرأة.. وبقايا رجل
عدد خاص	عبد الهادي بوطالب (فرنسية)	Un demi siècle dans les arcanes de la politique
عدد خاص	روجي جارودي (فرنسية)	Les mythes fondateurs de la politique israélienne
عدد خاص	روجي جارودي (عربية)	الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية

العدد	المؤلف	العنوان
عدد خاص	عبد الواحد الناصر	العلاقات الدولية الراهنة
عدد خاص	عبد الواحد الناصر	الإرهاب وعدم المشروعية في العلاقات الدولية
عدد خاص	عبد الواحد الناصر	التطبيقات المغربية لقانون العلاقات الدولية
عدد خاص	عبد الواحد الناصر	المتغيرات الدولية الكبرى
عدد خاص	عبد الواحد الناصر	النظام القانوني الدولي وإشكاليات ما بعد هجمات 11 سبتمبر 2001
عدد خاص	عبد الواحد الناصر	المشكلات السياسية الدولية
عدد خاص	عبد الواحد الناصر	الحياة القانونية الدولية: مدخل لفهم اتجاهات التطور
عدد خاص	المصطفى المريزق	في الطريق الى ربيع الديموفراطية
عدد خاص	عبد الواحد الناصر	العلاقات الدولية للمغرب



د. عبد الله الشارف

مناظرة صوفية معاصرة

«...مما لا ريب فيه ان التصوف غدا من الظواهر العقدية والنفسية والسلوكية، التي تعكسها الحياة المعاصرة في شتى بلدان العالم. وإذا كانت هذه الظاهرة قد عرفت أساسا لدى الشعوب المتدينة كالشعب المسلم أو اليهودي أو المسيحي أو البودي، فإنها قد بدأت تنتشر في المجتمعات الغربية العلمانية، كرد فعل ضد التيار المادي الذي اجتاح ثقافة هذه المجتمعات، حيث أصبح التصوف الإسلامي أو المسيحي أو البودي، يدرس في الجامعات الغربية، كما كثرت المؤسسات والجمعيات والزوايا والنوادي، التي يؤمها المتصوفة الغربيون فارين من جحيم الحضارة المادية...»

«...وفي يوم من أيام رمضان لسنة 1431هـ/ 2010م، أشار علي ولدي عبد الرحمن حفظه الله، بالإسهام في الحوار الصوفي من خلال المنتديات الصوفية المنتشرة عبر شبكة الإنترنيت، فاستحسنت رأيه ودخلت في حوار مع أشخاص متصوفة، يعملون في «منتدى الصوفية»، ذلك الحوار الذي استغرق ما يقرب من شهر، والذي أثمر نص هذه المناظرة التي أقدمها لطلبتي وللقراء المهتمين بمجال التصوف...»

د. عبد الله الشارف



لوحة الغلاف من تركيب «الزمن»